الدلالات الفنية والتعبيرية لمضمون قصة أصحاب الفيل في رسوم عينة من أطفال الصفين الأول والثالث الابتدائيين بالمدارس القطرية

د. وضحى على السويدي
أستاذ المناهج وطرق التدريس المساعد
كلية التربية – جامعة قطر

د. محسن محمد عطية
أستاذ النقد والتذوق الفني
كلية التربية – جامعة قطر

أولا : الإطار النظري والدراسات السابقة :

أ – تعبيرات الأطفال وخصائص رسومهم :

من المتعارف عليه في مجال الدراسات التحليلية لرسوم الأطفال أن هناك دلالات رمزية لما يقوم به الأطفال في رسومهم من عمليات التصغير والتكبير والحذف والتضخيم ، وهذه النزعة الرمزية تتيح الفرصة للكشف عن الموضوعات ذات المغزى النفسي ، والتي هي أكثر من مجرد تسجيل لتجربة مرئية بل هي " واقعة أو تجربة حية لها معنى روحي يكسبها قيمتها الجمالية والتعبيرية "[١]*.

وغالبا ما نلاحظ في رسوم الأطفال افتقادها للأبعاد الزمانية والمكانية ، كما هي عليها المرئيات في الطبيعة ، فالطفل يدرك الحقائق بطريقة غير مجزأة ، على هيئة سلسلة من المواقف المتتابعة مثلما تأثر بها وخبرها " لذا فهو يشكل برسمه الرموز التي تمثل صورة واحدة تجمع غالبية المناظر التي استمتع بها "[٢].

وتبدو " ظاهرة الميل " واضحة في هذه المرحلة حيث يقوم الطفل برسم الأشياء والموضوعات متعامدة على خط أرضي ، وبتغير خط الأرض من الوضعية الأفقية إلى المتعرجة أو المائلة حيث تظل الاجسام في اتجاهها الرأسي،

(*) الترقيم المتبع في هذه الدراسة يشير إلى الرجوع إلى قائمة المراجع

وهذه الظاهرة تميز الرسوم في مرحلة الطفولة من (٧ إلى ٩) سنوات وتعمل على تحقيق التوفيق بين الحقائق المرئية والأخرى الفكرية . ومن الرموز الشائعة أيضا في رسوم الأطفال في هذه المرحلة الشكل الدائري الذي تخرج منه الخطوط الرأسية ، ويمثل الشمس ، وتوحى بشكل مختلف التفاصيل الإنسانية والحيوانية في نفس الوقت وعن مختلف المعاني . والتعبير الطفولي مثل كل الفنون الرمزية، يستلزم ضرورة التحول عن الطرق التقليدية في التعبير ، والاتجاه نحو ابتداع الصياغات التي تتناسب مع الطبيعة الخيالية والتي تعبر عن أغوار النفس العميقة ، وتتماشى مع النمو الطبيعي لحركة يد الطفل القابضة على أداة الرسم ومع مستوى الذكاء في هذه المرحلة من عمره ، ومع مستوى قدرته على التعبير بواسطة الفن .

ولاشك أن عملية الكشف عن معاني صور الأشكال في فن الطفل تقوم على توضيح بعضها البعض ، فهو لايرسم صورة للإنسان ، مثلاً بخط خارجي يحيط بالشكل ككل وإنما يرسمه بإضافة مساحة إلى أخرى ، مما يسمح بمرونة جمالية وتعبيرية في نفس الوقت [٣]. وعندما يضيف كل جزء بشكله وحجمه ، وبخطوطه وأشكاله وألوانه في ترابطها ، يراعى تواءمه بالنسبة لتلك الأجزاء التي كانت قد رسمت من قبل ، وكثيراً ما يرسم الأطفال الجذع في جسم الإنسان بأشكال حلقية وبدوائر ومستطيلات منفردة ، مما يجعل معظم الرموز التي تمثل الإنسان في رسوم هؤلاء الأطفال غير محددة الجنس . ويستقر الطفل علي عدد من الرموز في المرحلة التي تقع مابين السابعة والتاسعة من عمره ، وهي المرحلة التي تهمنا في دراستنا الحالية وتعرف في سلم النمو الفني حسب تصنيف (لونفيلد) بمرحلة المدرك الشكلي [*] حيث تتميز رسوم الأطفال في هذه

(*) المدرك الشكلي أو الإيجاز الشكلي ظاهرة تتميز بها رسوم الأطفال في مرحلة من مراحل نموهم حيث يلخصون خبراتهم في هذه المرحلة في أشكال موجزة أشبه بالرموز (الموجزات الشكلية) التي تعمم بها خبراتهم التعبيرية أو يجردونها في إشكال مقتصده تسهل إعادة استخدامهم لها في مواقف مشابهة وللمدركات الشكلية فرديتها عند كل طفل حيث إنها تعبر عن شخصيته .

المرحلة بتلقائية أكثر ، كما يبرز أسلوب المبالغة في صياغة حجم الموضوعات ، دلالة على أهميتها وتأكيداً على العناصر التي تتمتع بقيمة أكبر في نفوسهم دون التقيد بالحواجز المكانية ، كما يظهر الجمع بين مسطحات مختلفة في حيز فراغي واحد جلياً واضحاً في رسوم أطفال هذه المرحلة ، مع تأكيدهم على رسم الأشياء بأجزائها مجتمعة ، دون أن يُحجب أي جزء منها لعدم التزامهم بالحقائق البصرية ، فهم يبحثون في رسومهم عن الحقائق الذهنية .

كما يميل الأطفال في هذه المرحلة في رسومهم أيضا إلى إطالة الأجزاء التي لها مكانة حيوية وهامة في موضوع الرسم بالنسبة لهم ، وقد يستعينون إضافة إلى ذلك بأسلوبي الحذف والتحريف من أجل إبراز المعنى بطريقة رمزية ، ولاشك أن مثل هذه السمات في رسوم الأطفال في هذه المرحلة العمرية هي التي تجعل من تعبيراتهم في رسومهم فناً رمزياً ومعبراً ، لايمثل إلا جزءامن الحقائق الذاتية في نفوسهم .

لذا حظيت رسوم الأطفال منذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر باهتمام الباحثين ، وعدت المحصلة النامية للدراسات التي تمت في هذا الميدان دلالة على الاهتمام بطبيعة حيوية رسوم الأطفال، ودور هذه الرسوم في تنمية الشخصية السوية المتكاملة ومن هذه الدراسات :

- دراسة (محمود البسيوني)[٤] التي أجريت على عدد كبير من الأطفال المصريين ، واستهدفت الكشف عن الفروق الفردية في التعبير الفني لديهم ، مع عقد بعض المقارنات بين الأنماط الرئيسية لرسوم هؤلاء الأطفال وأنماط أخرى غيرها استخلصها علماء غربيون . ومن أهم المعايير الجمالية والتعبيرية التي وردت في هذه الدراسة عن رسوم الأطفال ، "الإيقاع" و"التوافق" على أساس أنهما يمكن أن يعكسا النظام البيولوجي للطفل في مراحل نموه الأولى . وقد توصل (البسيوني) إلى تصنيف لتعبيرات الأطفال

تمثل في عشرة أنماط رئيسية منها : الوصفي ، والرمزي ، والزخرفي، والمعماري ، والنصف تجريدي ، والتعبيري السيكولوجي ، والساذج، والتجريدي ، والتأثيري ، والتعددي .

- كما اهتم (البسيوني) في دراسة أخرى [٥] بتحليل رسوم الأطفال غير الأسوياء ، ورسوم الموهوبين والمتفوقين وقارنها برسوم المسنين . وأشار في دراسته هذه لكثير من خصائص هذه الرسوم كموضوع الإجادة فيها ، وكيفية الرسم في موضوعات محددة ، ودرس الحركة واتجاهات العناصر لديهم .
- أما (هربرت ريد) [٦] فقد اهتم برسوم الأطفال الأساسية وقسمها إلى أنماط أهمها: العضوي، والشاعري ، والتأثيري ، والملمسي ، والتعبيري التعددي، والإيقاعي ، والتركيبي ، والهندسي، والزخرفي ، والرومانتيكي ، والأدبي ، على اعتبار أن العضوي يدرك النفس الطبيعية إدراكاً حسياً ، أما التأثيري فيتجة إلى التفاصيل المميزة أكثر من اهتمامه بالفكرة الكلية العامة ، والإيقاعي يفرض على الرسم شكلاً خاصاً ، والهندسي يشهر رسمه على شكل تصميم لاينتمي إلى الطبيعة إلا بطريقة رمزية .
- وأكد (لونفيلد) [٧] في كتابه " النمو العقلي والإبداعي " أن للفن دوراً رئيسياً وحيويا في تربية الأطفال وتعليمهم ، وقسم سلم النمو الفني إلى عدة مراحل نذكرها فيما يلي :
  - مرحلة ما قبل التخطيط : وتبدأ من الولادة إلى سن الثانية .
  - مرحلة التخطيط : وتبدأ من سن الثانية إلى سن الرابعة .
  - مرحلة تحضير المدرك الشكلي وتبدأ من سن الرابعة إلى سن السابعة .
  - مرحلة المدرك الشكلي وتبدأ من سن السابعة إلى سن التاسعة (وهي المرحلة التي تهمنا في هذه الدراسة).
  - مرحلة محاولة التعبير الواقعي وتبدأ من سن التاسعة إلى سن الحادية عشرة .

- مرحلة التعبير الواقعي وتبدأ من سن الحادية عشرة إلى سن الثالثة عشرة.
- مرحلة المراهقة ، وتبدأ من سن الثالثة عشرة إلى سن السابعة عشرة أو الثامنة عشرة.

- ويشير (لونفيلد) إلى أن رسوم الأطفال لاتعكس فقط كل جوانب الشخصية عندهم بل إنها تتغير بتغير عمر الطفل، وانتقاله من سنة إلى أخرى ، ويتطور كلما كبر ، ولفهم هذه التغيرات وتقويمها فقد قدم (لونفيلد) تحليلاً للمكونات الأساسية المختلفة للنمو، وبدأ بالنمو العاطفي Emotional growth فأوضح أن الطفل قد ينغمس في العمل الفني لدرجة أن يرسم نفسه في الموضوع . وقد يكرر أشكالاً مجرد تكرار آلي ، فالحالة الأولى تقتضي المرونة في التفكير وفي التخيل وفي العمل ، والطفل المتردد المنطوي يلجأ للنوع الآخر وهوالتكرار الآلي، وقد يساعده ذووه بتقديم الرسوم جاهزة الرسم لتكميلها فقط أو يكررها أو يلونها ، ويساعدونه بذلك على الهروب من مواجهة عالم ممتلىء بالخبرات. والتلميذ غير المستجيب عاطفياً يعبر عن مشاعره اللا انتمائية بعدم إضافة أي شيء ذاتي أو شخصي في رسومه فيحيد كل شيء.أما النمو الفكري Intellectual growth فيمكن ملاحظته من وعي الطفل المتزايد بنفسه وبيئته ، فالمعرفة التي يصور بها مايراه توضح مستواه الفكري . وتصلح الرسوم لتكون مؤشراً للقدرات العقلية للأطفال ، خاصة عندما يكون الاتصال الكلامي متعسراً ويمكن مقارنة التطور الفكري لطفلين في عمر واحد بتأمل رسومهما، فالذي يكثر من التفصيل يكون عادة أكثر إدراكاً ممن يقتصر على شكل عام ، ولكن لابد من ملاحظة أن إهمال التفاصيل قد لايكون دليلاً على انخفاض المقدرة العقلية للتلميذ ، فالتحديدات العاطفية أو عدم اهتمامه بموضوع معين قد يؤدى أيضا لإهمال التفاصيل ، وعلى كل فإن الرسوم يمكن أن تدل على قدرات الأطفال إلى أن يصلوا إلى سن العاشرة .

- ويعرض (حمدي خميس) [٨] في كتابه طرق تدريس الفنون مراحل تطور نموالطفل، ويستند في تصنيفه لهذه المراحل إلى كون الطفل في السنوات الأولى يرسم مايعرفه لا مايراه ، وكلما ازداد عمره اعتمد على بصره في التعبير، وأن استخدام الطفل لأساليب المبالغة في الحجوم يرجع إلى عملية مزج الطفل مايرسمه بانفعالاته المختلفة ، كما أن هناك صلة تجمع بين الاتجاهات المتبعة في رسوم الأطفال جميعها والمرتبطة بتطور تعبيراتهم الفنية، بصرف النظر عن بيئاتهم المختلفة وقد استعان (حمدي خميس) في تقسيمه لمراحل النمو الفني للطفل بتقسيم (لونفيلد) الذي سبق أن أشرنا إليه ووصف في تقسيمه لمرحلة المدرك الشكلي بأن الطفل من سن (٧-٩سنوات) يكون قد استقر على عدد من الأشكال التي يكررها، ويلجأ إلى تغيير رموزه فيها تبعاً لانفعالاته المختلفة ، وتتميز ظاهرة التسطيح فيها بالرسوم الانفرادية التي لاتحجب بعض عناصرها البعض الآخر ، فالطفل في هذه المرحلة لايعترف بالحقائق المرئية وإنما بالحقائق الذهنية .
- ويستخلص (كورادو) [٩] في دراسته لرسوم الأطفال النزعة نحو التعبير عن الصور الكلية واستخدام أسلوب المبالغة والتمييز بالوجوه التي ترسم من الزاوية الجانبية بعينين ظاهرتين.
- في حين يؤكد (سولى) [١٠] من خلال تحليله لمجموعة من رسوم الأطفال، الذين اعتبرهم فنانين بأن الطفل يتطور في رسمه لتفاصيل الإنسان، على اعتبار أن الطفل في المراحل المتطورة يعتمد على معرفته بالعنصر الذي يرسمه كشكل كلي، دون مقارنة بين مايرسمه وبين العنصر الخارجي في الطبيعة .
- ويشير (لوكيه) [١١] من خلال دراسته السيكولوجية لرسوم الأطفال إلى مجموعة من الحقائق منها: أن الطفل في بداية نموه في الرسم يطبق مبدأ الحقيقة الفكرية ، وينتهي باتباع مبدأ الحقيقة البصرية .

- أما (رودا)[١٢] في كتابها سيكولوجية رسوم الأطفال الذي بحثت فيه عن دوافع الطفل نحو الرسم ، فقد ميزت بين مايظهر من خصائص في رسوم الأطفال وبين ما يرغبون في أن يروه من خلال رسومهم .
- ويؤكد (جون ديوي)[١٣] في كتابه " الفن خبرة " على أهمية ترابط خبرة الأطفال ، معرفتهم ، مهاراتهم ، اتجاهاتهم ، عاداتهم ، في تحقيق المعاني الشمولية لرسومهم .
- وينوه (فرانز)[١٤] إلى أهمية القيم الجمالية في رسوم الأطفال ويعتبر أن (التسطيح والمبالغة) هي ما تكسب هذه الرسوم جماليتها ، وكلما زادت ارتفع مستوى العمل إبداعيا.
- وتشير نتائج دراسة (على المليجي)[١٥] التي قام فيها بتحليل محتوى عينة من رسومات الأطفال تراوحت أعمارهم مابين (٣-١٣سنة) إلى أن الأطفال في مراحل عمرية متتابعة يستطيعون التعبير برموز بصرية فنية تعبيراً يؤكد الخصائص الفنية لتعبيرات هؤلاء الأطفال في بناء الرموز وتكوين المساحات وتوزيع الألوان بما يتوافق مع نظريات التعبير الفني عند الأطفال في هذه المرحلة العمرية .

وفي ضوء ما تقدم من دراسات في مجال تحليل رسوم الأطفال يتضح عدم وجود دراسة سابقة في المجتمع القطري على وجه الخصوص - تناولت تحليل الرسوم في السنوات العمرية من (٧-٩سنوات) ، وهي المرحلة التي يطلق عليها في سلم النمو الفني بمرحلة المدرك الشكلي - كما تقدم.

لذا ، فإن هذه الدراسة تحاول في جهد متواضع التعرف على الدلالات الفنية والتعبيرية التي تبرز في مرحلة المدرك الشكلي لعينة من أطفال الصفين الأول والثالث الابتدائي بمدارس دولة قطر من خلال الإجابة عن السؤال التالي :

- ما الدلالات الفنية والتعبيرية لمضمون قصة أصحاب الفيل ، والتي تبرز في رسوم عينة من أطفال الصفين الأول والثالث الابتدائي بالمدارس القطرية ؟

ب - سبب اختيار الموضوع :

القصص القرآني بعث لآثار مضت وقصص لأخبار ذهبت ، وهو وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة التي تهدف إلى تحقيق الأغراض الدينية الربانية ، وقد امتاز بسمو غاياته وشريف مقاصده وعلو مراميه ، واشتمل على فصول في الأخلاق مما يهذب النفوس ويجُمل الطباع وينشر الحكمة والآداب ، وعلى طرق في التربية والتهذيب ، تُساق أحياناً مساق الحوار وطوراً مسلك الحكمة والاعتبار ، وتارة مذهب التخويف والإنذار ، كما حوى كثيراً من تاريخ الرسل مع أقوامهم ، والشعوب وحكامهم ، وشرح أخبار قوم هدوا فمكن الله لهم في الأرض وأقوام ضلوا فساءت حالهم وخربت ديارهم ووقع عليهم العذاب والنكال[١٦] .

وقصة أصحاب الفيل من القصص التي ذكرها القرآن الكريم للعبرة والعظة في سورة مكية[١٧] فلم تذكر عناصرها كاملة ، وإنما عرضت بإيجاز بليغ فلم يُعن فيها بذكر الأحداث ولا الأبطال، ولا الحوار الذي يدور بينهم . وقد وقع اختيار الباحثين على هذه القصة لتكون موضوعاً للرسم لأفراد عينة الدراسة لكونها من ضمن المقرر في التربية الإسلامية في الصفين الأول والثالث الابتدائي من ناحية ، ولأن القصص القرآني يجعل الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني وإثارة الانفعالات وتربية العواطف الربانية من ناحية أخرى، ناهيك عن أن القصص بشكل عام تستهوى الأطفال في هذه المرحلة العمرية وتشد اهتمامهم وتوقظ انتباههم، وتسهم في إكسابهم أنماطاً من السلوك الإيجابي.

جـ - نبذة عن مضمون قصة أصحاب الفيل:

يشير مضمون سورة الفيل إلى حادث مستفيض الشهرة في حياة الجزيرة العربية قبل البعثة، عظيم الدلالة على رعاية الله لهذه البقعة المقدسة التي اختارها الله لتكون ملتقى النور الأخير، ومحضن العقيدة الجديدة ، والنقطة التي تبدأ منها زحفها المقدس لمطاردة الجاهلية في أرجاء الأرض، وإقرار الهدى والحق والخير فيها .

وجملة ما تشير إليه الروايات المتعددة عن هذا الحادث [١٨]، أن الحاكم الحبشي لليمن - في الفترة التي خضعت فيها اليمن لحكم الحبشة بعد طرد الحكم الفارسي منها - وتسميه الروايات "أبرهة"، كان قد بنى كنيسة في اليمن باسم ملك الحبشة وجمع لها كل أسباب الفخامة ، على نية أن يصرف بها العرب عن البيت الحرام في مكة ، وقد رأى مبلغ انجذاب أهل اليمن الذين يحكمهم إلى هذا البيت ، شأنهم شأن بقية العرب في وسط الجزيرة وشمالها كذلك . وكتب إلى ملك الحبشة بهذه النية .

ولكن العرب لم ينصرفوا عن بيتهم المقدس ، فقد كانوا يعتقدون أنهم أبناء إبراهيم وإسماعيل صاحبي هذا البيت ، وكان هذا موضع اعتزازهم على طريقتهم بالفخر بالأنساب وكانت معتقداتهم علي تهافتها - أفضل في نظرهم من معتقدات أهل الكتاب من حولهم، وهم يرون مافيها من خلل واضطراب وتهافت كذلك .

عندئذ صح عزم أبرهة علي هدم الكعبة ليصرف الناس عنها، وقاد جيشا جرارا تصاحبه الفيلة، وفي مقدمتها فيل عظيم ذو شهرة خاصة عندهم، فتسامع العرب به وبقصده ، وعز عليهم أن يتوجه لهدم كعبتهم ، فوقف في طريقه رجل من أشراف أهل اليمن وملوكهم يقال له ذو نفر فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب الي حرب أبرهة وجهاده بصرفه عن البيت الحرام ، فأجابه إلى ذلك عدد منهم ، ثم عرض له فقاتله ولكنه هزم واخذه أبرهه أسيرا .

ثم وقف له في الطريق كذلك نفيل بن حبيب الخثعمي في قبيلتين من العرب ومعهما عرب كثير، فهزمهم كذلك وأسر نفيلا ، الذي قبل أن يكون دليله في أرض العرب .

حتى إذا مر بالطائف خرج إليه رجال من ثقيف فقالوا له : إن البيت الذي يقصده ليس عندهم إنما هو في مكة . وذلك ليدفعوه عن بيتهم الذي بنوه للأت ! وبعثوا معه من يدله على الكعبه !.

فلما كان أبرهة بالمغمس بين الطائف ومكة ، بعث قائداً من قواده حتى انتهى إلى مكة فساق إليه أموال تهامة من قريش وغيرهم ، فأصاب فيها مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم ، وهو يومئذ كبير قريش وسيدها . فهمت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بذلك الحرم بقتاله . ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به فتركوا ذلك .

وبعث أبرهة رسولاً إلى مكة يسأل عن سيد هذا البلد ، ويبلغه أن الملك لم يأت لحربهم وإنما جاء لهدم هذا البيت ، فإن لم يتعرضوا له فلا حاجة له في دمائهم ! فإذا كان سيد البلد لايريد الحرب جاء به إلى الملك فلما كلم عبد المطلب فيما جاء به قال له : والله ما نريد حربه وما لنا بذلك من طاقة. هذا بيت الله الحرام . وبيت خليله إبراهيم عليه السلام ... فإن يمنعه منه فهو بيته وحرمه ، وإن يخل بينه وبينه فو الله ما عندنا دفع عنه ... فانطلق معه إلى أبرهة .

قال ابن إسحاق : وكان عبد المطلب أوسم الناس وأجملهم وأعظمهم . فلما رآه أبرهة أجله وأعظمه، وأكرمه عن أن يجلسه تحته ، وكره أن تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه . فنزل أبرهة عن سريره ، فجلس على بساطه وأجلسه معه إلى جانبه . ثم قال لترجمانه : قل له : ما حاجتك ؟ فقال : حاجتي أن يرد علىّ الملك مائتي بعير أصابها لي . فلما قال ذلك ، قال أبرهة لترجمانه؛ قل له : كنت أعجبتني حين رأيتك ، ثم قد زهدت فيك حين كلمتني ! أتكلمني

في مئتي بعير أصبتها لك وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لاتكلمني فيه ؟ قال له عبد المطلب : إني أنا رب الإبل ، وإن للبيت رباً سيمنعه. قال : ما كان ليمتنع مني . قال : أنت وذاك ! ... فرد عليه إبله.

ثم انصرف عبد المطلب إلى قريش وأخبرهم الخبر ، وأمرهم بالخروج من مكة ، والتحرز في شعف الجبال .

وأما أبرهة فوجه جيشه وفيله لما جاء له . فبرك الفيل دون مكة لا يدخلها ، وجهدوا في حمله على اقتحامها فلم يفلحوا . وهذه الحادثة ثابتة بقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الحديبية حين بركت ناقته القصواء دون مكة ، فقالوا : خلأت القصواء (أي حرنت) فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "ما خلأت القصواء ، وما ذاك لها بخلق،ولكن حبسها حابس الفيل[*] . وفي الصحيحين أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال يوم فتح مكة : "إن الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين ، وأنه قد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ، ألا فليبلغ الشاهد الغائب " ، فهي حادثة ثابتة أنه قد حبس الفيل عن مكة في يوم الفيل ... ثم كان ما أراده الله من إهلاك الجيش وقائده ، فأرسل عليهم جماعات من الطير تحصبهم بحجارة من طين وحجر ، فتركتهم كأوراق الشجر الجافة الممزقة . كما يحكى عنهم القرآن الكريم ... أصيب أبرهة في جسده، وخرجوا به معهم يسقط أنملة أنملة ، حتى قدموا به صنعاء ، فما مات حتى أنشق صدره عن قلبه كما تقول الروايات .

ونعود بعد هذا التقديم الموجز للقصة إلى سورة الفيل ، وإلى دلالة القصة .. " ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل؟ " .. وهو سؤال للتعجب من الحادث ، والتنبيه إلي دلالته العظيمة . فالحادث كان معروفاً عند العرب ومشهوراً عندهم، حتى لقد جعلوه مبدأ تاريخ . يقول حدث كذا عام الفيل،وحدث

---

(١) أخرجه البخاري .

كذا قبل عام الفيل بعامين ، وحدث كذا بعد عام الفيل بعشر سنوات .. والمشهور أن مولد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان في عام الفيل ذاته. ولعل ذلك من بدائع الموافقات الإلهية المقدرة !

وإذن فلم تكن السورة للإخبار بقصة يجهلونها ، إنما كانت تذكيراً بأمر يعرفونه ، المقصود به ماوراء هذا التذكير ...

" ألم يجعل كيدهم في تضليل ؟" .. أي ألم يضل مكرهم فلا يبلغ هدفه وغايته ، شأن من يضل الطريق فلا يصل إلى ما يبتغيه .. ولعله كان بهذا يُذكر قريشاً بنعمته عليهم في حماية هذا البيت وصيانته ، وفي الوقت الذي عجزوا هم عن الوقوف في وجه أصحاب الفيل الأقوياء . لعلهم بهذه الذكرى يستحون من جحود الله الذي تقدمت يده عليهم في ضعفهم وعجزهم ، كما يطامنون من اغترارهم بقوتهم اليوم في مواجهة محمد - صلى الله عليه وسلم - والقلة المؤمنة معه . فقد حطم الله الأقوياء حينما شاءوا الاعتداء على بيته وحرمته ، فلعله يحطم الأقوياء الذين يقفون لرسوله ودعوته .

فأما كيف جعل كيدهم في تضليل فقد بينه في صورة وصفية رائعة : " أرسل عليهم طيراً أبابيل، ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف مأكول".. والأبابيل : الجماعات . وسجيل كلمة فارسية مركبة من كلمتين تفيدان: حجر وطين . أو حجارة ملوثة بالطين . والعصف : الجاف من ورق الشجر . ووصفه بأنه مأكول : أي فتيت طحين ! حين تأكله الحشرات وتمزقه ، أو حين يأكله الحيوان فيمضغه ويطحنه ! وهي صورة حسية للتمزيق البدني بفعل هذه الأحجار التي رمتهم بها جماعات الطير .

فأما دلالة هذا الحادث والعبر المستفادة من التذكير به فكثيرة ... ذكر الشهيد سيد قطب في "ظلال القرآن " :

١- أن أول ما توحي به أن الله - سبحانه وتعالى - لم يرد أن يكل حماية بيته

إلى المشركين ، ولو أنهم كانوا يعتزون بهذا البيت ، ويحمونه ويحتمون به. فلما أراد أن يصونه ويحرسه ويعلن حمايته له وغيرته عليه ترك المشركين يهزمون أمام القوة المعتدية . وتدخلت القدرة سافرة لتدفع عن بيت الله الحرام ، حتى لاتتكون للمشركين يد على بيته ولا سابقة في حمايته ، بحميتهم الجاهلية . ولعل هذه الملابسة ترجح ترجيحاً قوياً أن الأمر جرى في إهلاك المعتدين مجرى السنة الخارقة -لاالسنة المألوفة المعهودة - فهذا أنسب وأقرب ..ولقد كان من مقتضى هذا التدخل السافر من القدرة الإلهية لحماية البيت الحرام أن تبادر قريش ويبادر العرب إلى الدخول في دين الله حينما جاءهم به الرسول - صلى الله عليه وسلم - وألا يكون اعتزازهم بالبيت وسدانته وما صاغوا حوله من وثنية هو المانع لهم من الإسلام ! وهذا التذكير بالحادث على هذا النحو هو طرف من الحملة عليهم، والتعجب من موقفهم العنيد !.

٢- كذلك توحي دلالة هذا الحادث بأن الله لم يقدّر لأهل الكتاب - أبرهة وجنوده - أن يحطموا البيت الحرام أو يسيطروا على الأرض المقدسة . حتى والشرك يدنسه ، والمشركون هم سدنته . ليبقى هذا البيت عتيقاً من سلطان المتسلطين . مصوناً من كيد الكائدين . وليحفظ لهذه الأرض حريتها حتى تنبت فيها العقيدة الجديدة حرة طليقة ، لايهيمن عليها سلطان ، ولايطغى فيها طاغية ، ولايهيمن على هذا الدين الذي جاء ليهيمن على الأديان وعلى العباد ، ويقود البشرية ولايُقاد . وكان هذا من تدبير الله لبيته ولدينه قبل أن يعلم أحد أن نبي هذا الدين قد ولد في هذا العام .

٣- والإيحاء الثالث هو أن العرب لم يكن لهم دور في الأرض . بل لم يكن لهم كيان قبل الإسلام. كانوا في اليمن تحت حكم الفرس أو الحبشة . وكانت دولتهم حين تقوم هناك أحياناً تقوم تحت حماية الفرس . وفي الشمال كانت الشام تحت حكم الروم إما مباشرة وإما بقيام حكومة عربية تحت حماية

الرومان ... ولم ينج إلا قلب الجزيرة من تحكم الأجانب فيه . ولكن ظل في حالة بداوة أو في حالة تفكك لاتجعل منه قوة حقيقية في ميدان القوى العالمية . وكان يمكن أن تقوم الحروب بين القبائل أربعين سنة ، ولكن لم تكن هذه القبائل متفرقة ولا مجتمعة ذات وزن عند الدول القوية المجاورة . وماحدث في عام الفيل كان مقياساً لحقيقة هذه القوة حين تتعرض لغزو أجنبي .

وتحت راية الإسلام ولأول مرة في تاريخ العرب أصبح لهم دور عالمي يؤدونه . وأصبحت لهم قوة دولية يحسب لها حساب . قوة جارفة تكتسح الممالك وتحطم العروش ، وتتولى قيادة البشرية ، بعد أن تزيح القيادات الجاهلية المزيفة الضالة .. ولكن الذي هيأ للعرب هذا لأول مرة في تاريخهم هو أنهم نسوا أنهم عرب ! نسوا نعرة الجنس ، وعصبية العنصر ، وذكروا أنهم مسلمون. ومسلمون فقط . ورفعوا راية الإسلام ، وراية الإسلام وحدها . وحملوا عقيدة ضخمة قوية يهدونها إلى البشرية رحمة وبراً بالبشرية ، ولم يحملوا قومية ولا عنصرية ولا عصبية. حملوا فكرة سماوية يعلمون الناس بها لا مذهباً أرضياً يخضعون الناس لسلطانه . وخرجوا من أرضهم جهاداً في سبيل الله وحده. ولم يخرجوا ليؤسسوا إمبراطورية عربية ينعمون ويرتعون في ظلها ، ويشمخون ويتكبرون تحت حمايتها ، ويخرجون الناس من حكم الروم والفرس إلى حكم العرب وإلى حكمهم أنفسهم ! إنما قاموا ليخرجوا الناس من عبادة العباد جميعاً إلى عبادة الله وحده ، كما قال ربعي بن عامر رسول المسلمين في مجلس يزدجر:" الله ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام "* .

(*) البداية والنهاية لابن كثير .

ثانيا - منهجية الدراسة :

أ - عينة الدراسة :

تكونت عينة الدراسة من ١٢٠طفلة من الصفين الأول والثالث الابتدائي في أربع[١٩] من المدارس الابتدائية بدولة قطر بمعدل (٦٠) طفلة من الصف الأول الابتدائي ، (٦٠) طفلة من الصف الثالث الابتدائي ، وقد تراوحت أعمارهن مابين (٧-٩سنوات) تقريباً وجميعهن من جنسيات عربية مختلفة.

وقد تم اختيار (٢٤) لوحة من رسومات أفراد عينة الدراسة بطريقة عشوائية بمعدل (١٢) لوحة لأفراد عينة الصف الأول الابتدائي ، وتمثل الفئة العمرية (٧سنوات) تقريباً، (١٢) لوحة لأفراد عينة الصف الثالث الابتدائي وتمثل الفئة العمرية (٩سنوات) تقريباً.

ب - أدوات الدراسة :

١ - قصة أصحاب الفيل مسجلة على شريط فيديو بطريقة الصور الكرتونية المتحركة ، وتستغرق مدة عرض هذا الشريط (١٥) دقيقة فقط .

٢ - الكتاب المقرر للتربية الإسلامية للصفين الأول والثالث الابتدائي بدولة قطر[٢٠] .

٣ - قصة أصحاب الفيل للصغار [٢١].

جـ - التطبيق :

- تم الاتفاق مع مديرات المدارس التي تم اختيارها عشوائيا لتطبيق أدوات الدراسة بها على أن يقوم أحد الباحثين بنفسه بالإشراف على عملية التطبيق.
- تمت الاستعانة ببعض معلمات التربية الإسلامية والتربية الفنية بمدارس التطبيق على أن تتولى كل منهن الجانب الخاص بمادتها تحت إشراف أحد الباحثين .

- بعد تدريس سورة الفيل من الكتاب المقرر في كل من الصفين الأول والثالث الابتدائي ، وبالتنسيق مع إدارة المدرسة ومعلمات المواد قام أحد الباحثين بعرض شريط الفيديو المتضمن لقصة أصحاب الفيل على الأطفال .
- قامت معلمات مادة التربية الفنية للصفين الأول والثالث الابتدائي مشكورات بتهيئة الجو العام والمناسب في حصص التربية الفنية لرسم موضوع القصة دون تدخل من أي منهن ، بل تركن حرية التعبير للأطفال كلاً حسب انفعاله بمضمون القصة التي شاهدها وحسبما تقدم ذكره في الخطوات السابقة، وقد استغرق هذا الإجراء في كل فصل دراسي (٦٠) دقيقة .
- هذا وقد تمت الإجراءات سابقة الذكر ضمن الصفوف الدراسية ، وفي الساعات المقررة بالجدول الأسبوعي لكل مدرسة .

ثالثا - النتائج ومناقشتها :

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على الدلالات الفنية والتعبيرية التي تبرز في مرحلة المدرك الشكلي (٧-٩سنوات تقريبا) لدى عينة من أطفال الصفين الأول والثالث الابتدائي بالمدارس القطرية من خلال رسوماتهم لمضمون قصة أصحاب الفيل ، لذلك فقد تصدت الدراسة للإجابة عن السؤال الرئيسي التالي :

- ما الدلالات الفنية والتعبيرية لمضمون قصة أصحاب الفيل ، والتي تبرز في رسوم عينة من أطفال الصفين الأول والثالث الابتدائي بالمدارس القطرية ؟
- ويتم عرض النتائج التي تم التوصل إليها من خلال مناقشة (٢٤) لوحة تم اختيارها عشوائيا لأفراد عينة الدراسة .

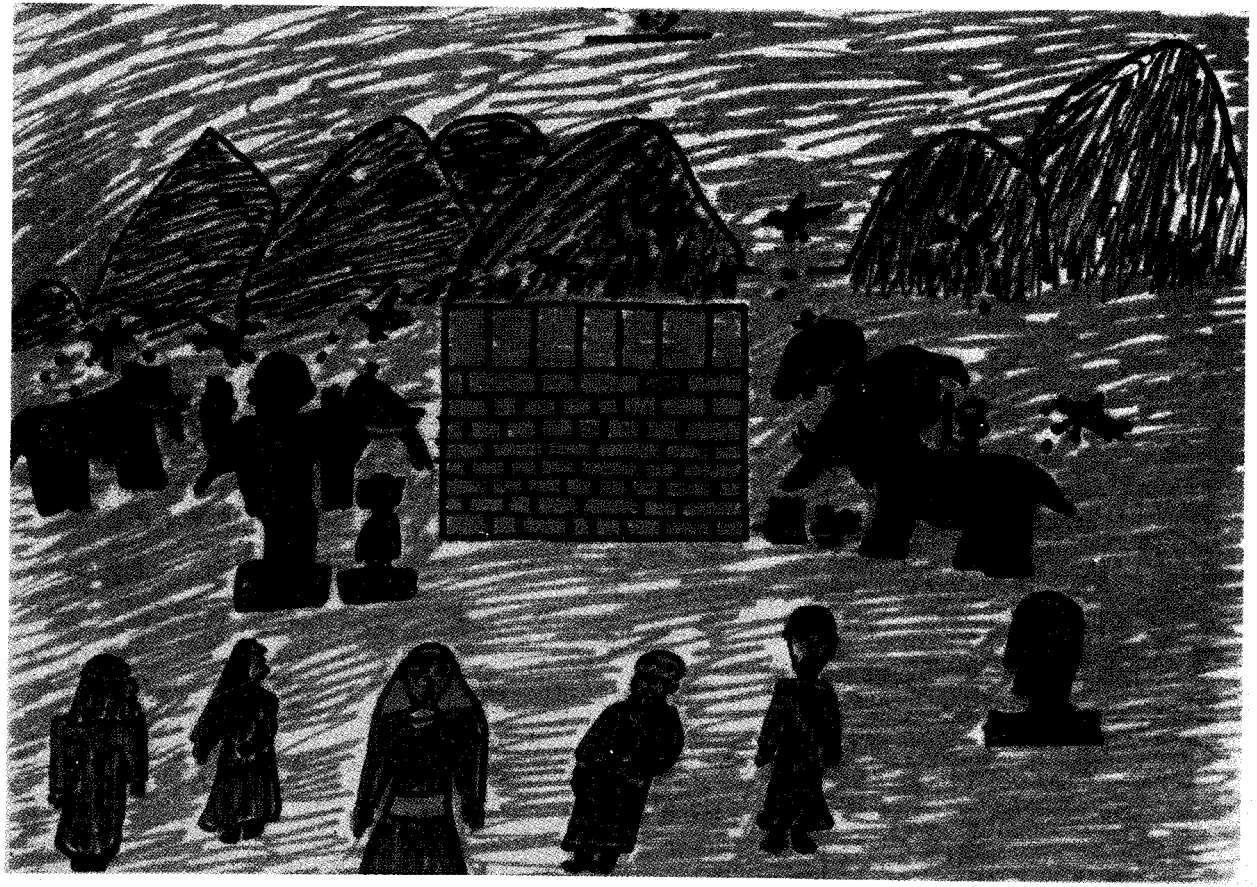

لوحة رقم (١) (٩سنوات)

- يتضح من خلال تعبير الطفلة في هذا الرسم مدى الغزارة الفكرية التي تتمتع بها ، وإدراكها للجو النفسي والعقائدي السائد في مكة في تلك الحقبة الزمنية وهذا واضح من خلال تعبيرها بحيوية في رسمها للكعبة والأصنام حولها والأشخاص ، والفيلة التي تهاجم، والطير الأبابيل التي تصدت للدفاع عن بيت الله الحرام وهزمت المعتدى الأثيم بقدرته جلّ شأنه .
- وتبرز الدلالات الفنية واضحة وجلية في هذا الرسم في الاستخدام الرمزي والجمالي (التزييني للون) ، مما أكسب الرسم جواً ساحراً . وقد اختارت الطفلة الألوان في رسمها بطريقة ذاتية تماماً بغض النظر عن علاقتها بالواقع البصري ، ولذلك نلاحظ لون الفيل الذي يمثل عنصراً أساسياً في أحداث القصة قد اكتسب في الرسم قوة ظاهرة ، فلونه (الأحمر القرمزي) بدا متمتعا بقوة ضوئية أكسبت الفيل حيوية وحركة .كما لونت الطفلة الكعبة باللون الأخضر وهو لون مسالم يدل على الاستقرار والخير .
- أما عن تنظيم الفراغ في الرسم فيتسم بالاستقرار وذلك مما يدل على استقرار العقيدة في وجدان الطفلة ، وقد اعتنت الطفلة في رسمها للكعبة ، بدافع ذاتي ينم عن احترام للمعاني المقدسة التي ترمز لها الكعبة الشريفة.
- وقد ظهرت في اللوحة أشكال لأصنام غريبة الشكل أضافت جواً سحريا على اللوحة مما يعكس المعجزة التي لايصدقها إلا قلب الإنسان المؤمن بعظمة الله وقدرته التي حمت البيت العتيق من كيد المعتدين .
- كما يظهر في اللوحة عدد من أهل مكة وقد وقفوا في استسلام يشاهدو أحداث المعركة مطمئنين إلى أن للبيت العتيق رباً سيحميه من كل معتدٍ أثيم، وقد ظهرت أشكالهم صامتة وانحصر اهتمام الطفلة بأشكال ملابسهم ، واتجاهات أجسامهم ، وهذا يدل على تقدم الطفلة في أسلوب التعبير وكأنها قد تخطت مرحلة ثبوت المدرك الشكلي إلى مرحلة التنويع في الأشكال تبعاً للرؤية البصرية .

- أما التسطيح الذي ميز تشكيل الكعبة والجبال التي حددت بخطوط خارجية واضحة ومؤكدة فهي من السمات الأساسية لرسوم الأطفال في هذه المرحلة العمرية ، حيث إن هذه الطريقة تساعد الأطفال في رسم كل مايعرفونه عن العنصر الذي يعبرون عنه سواء أكان إنساناً أو حيواناً أو طيراً، فالحيوانات بدت في الرسم بأرجلها الأربعة ، وكذلك الطيور بأجنحتها كاملة وبأرجلها دون أي رغبة في حجب أي جزء منها على عكس ما تتطلبه غالباً طريقة التجسيم ، فالطفلة هنا لاتعترف بالحقائق المرئية بقدر اعترافها بما تعرفه عن الموضوع الذي تعبر عنه ، فالطيور المرسومة لايختفي منها أي جزء رغم اختلاف اتجاهاتها أثناء طيرانها ، فالطفلة تريد أن تعبر عن الأشياء في أوضح صورة لها .

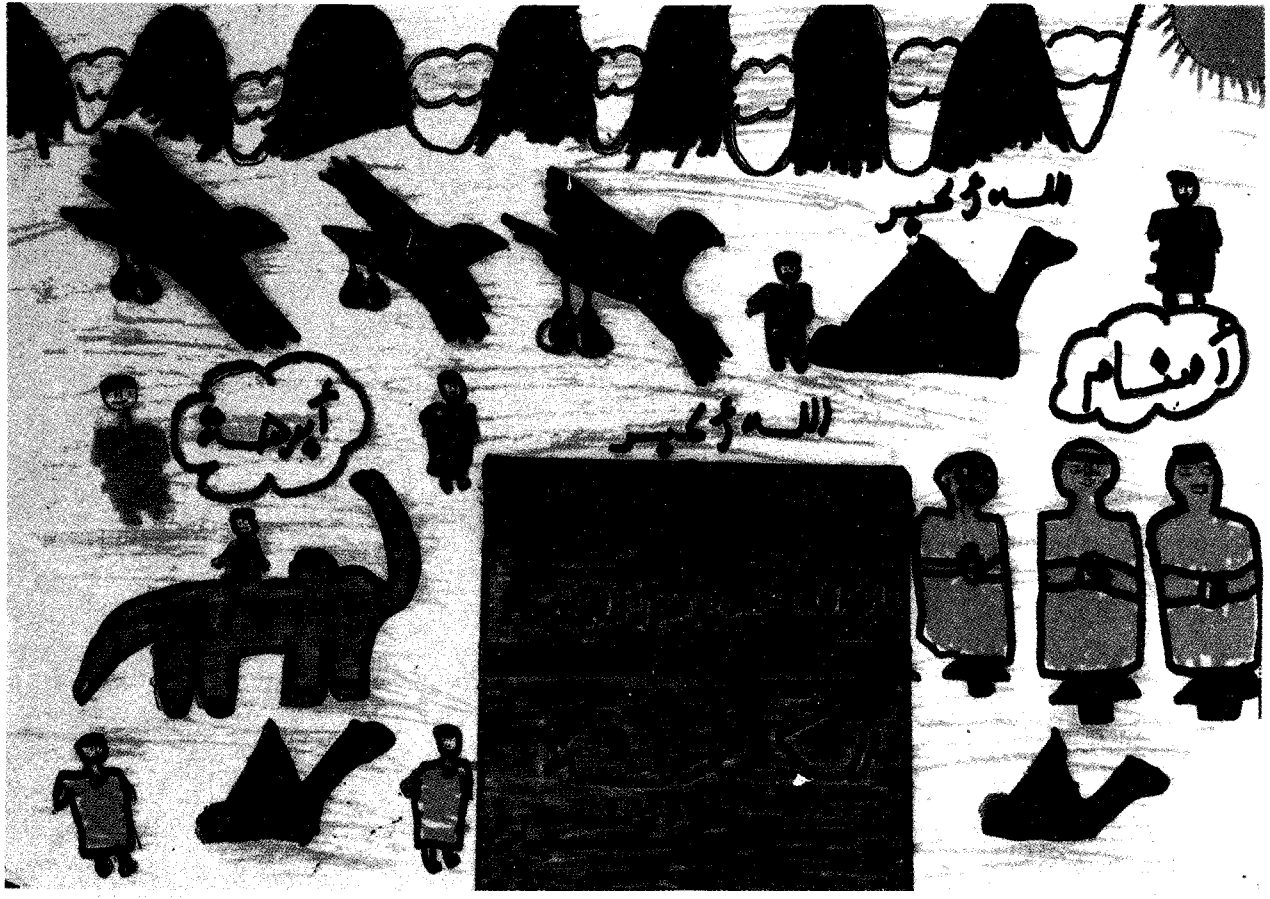

لوحة رقم (٢)

(٩سنوات)

- تعبر الطفلة عن مضمون قصة أصحاب الفيل بجمع عناصر القصة بأكملها باهتمام بالغ في هذا الرسم .
- فالقدرة الإلهية المتمثلة في الطيور التي تلقي بالحجارة على المعتدى الأثيم تظهر في هذه اللوحة وكأنها تحولت إلى طائرات تسمع أزيزها ، والحجارة التي ظهرت بأرجل هذه الطيور احاطتها الطفلة باللون الأحمر تأكيدا على أهميتها في سير أحداث القصة وتحقيقا لدورها الرئيسي في درامية مضمون المعجزة .
- كما يتضح في الرسم الاستعانة بالكتابة لتسمية الأشكال فتظهر عبارة (الشهادة) على جدران الكعبة الشريفة إضافة إلى كلمة الكعبة راسخة على المبنى .
- وتبرز كلمة (الله أكبر) في هذا الرسم وكأن الطفلة عمدت إلى تكرارها استعانة بها لتهيئة المناخ للمعجزة الكبرى التي تحققت للدلالة على عظمة الله وقدرته في حماية هذه البقعة المقدسة التي اختارها الله لتكون ملتقي النور وإقرار الهدى والحق .
- كما تحدد الطفلة في لوحتها هذه موقع الأصنام ، وكذلك موقع الحاكم الحبشي أبرهة بالكتابة على المساحة التي حددتها في رسمها لهم وبالكتابة التي وضعت ضمن إطار دائري .
- أما الدلالات الفنية التي تبرز لنا من خلال هذه اللوحة فهي المبالغة في أحجام الطيور التي كادت أن تساوي حجم الفيل وتساوي أضعاف أحجام البشر واستخدام الرموز المسماة وتكرار المدرك الشكلي بنفس هيئته في إيقاعات منتظمة .

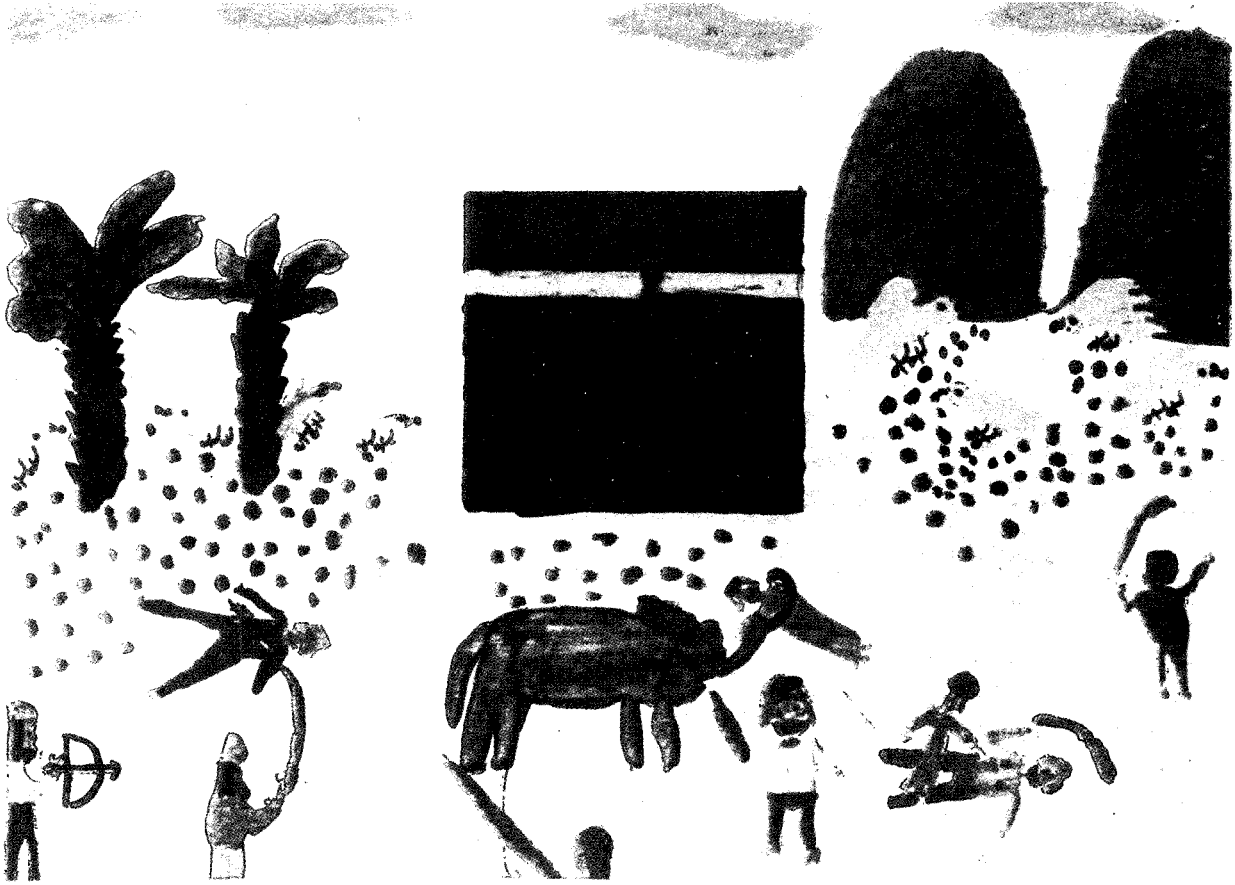

لوحة رقم (٣)

(٩سنوات)

- تعبر الطفلة عن مضمون قصة أصحاب الفيل برسمها لمعركة قوية نشبت واشتملت على كل عناصر الحرب ، فيظهر الفيل وهو يساق عنوة ويجبر على التوجه نحو الكعبة ويبدو في الرسم جنود أبرهة بأسلحتهم المختلفة وقد تشابكوا مع أهل مكة ، ونلمح خيال الطفلة بادياً في تصوير هذه المعركة فعلى الرغم من أن الروايات أجمعت على أن عبد المطلب أمر أهل مكة بالخروج منها والتحرز في شعف الجبال ، إلا أن خيال هذه الطفلة جعلها تجعل أهل مكة يدافعون عن الكعبة المشرفة ، فخيال الطفلة هنا لم يكتف بحدود القصة بل تعداها إلى تصورات اندمجت بأحاسيس ومشاعر ذاتية جسدتها في هذه اللوحة في دراما شكلية جميلة .
- كما تظهر الطيور في هذه الرسم بشكل جليّ توجه الحجارة بعناية تامة على المعتدى الأثيم ، جنود أبرهة ، والفيل. ويظهر استمتاع الطفلة بأسلوب التكرار في رسم المدرك الشكلي وميلها نحو الزخرف ونحو تأكيد معرفتها بالأشياء ومكوناتها .

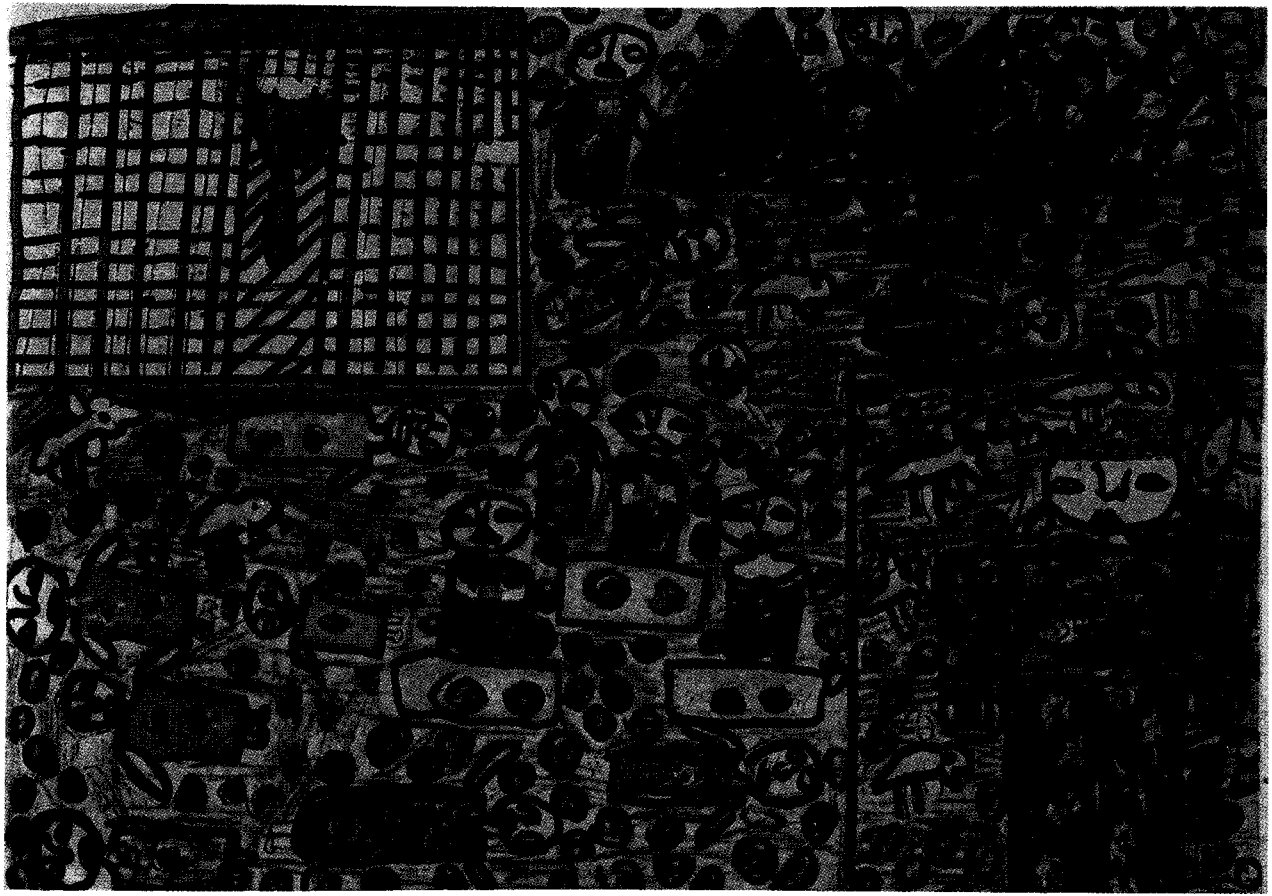

لوحة رقم (٤) (٧سنوات)

- تعبر الطفلة في هذا الرسم عن مضمون القصة بقدر كبير من العناصر التي اشتملت عليها القصة، فتبدو(الكعبة المشرفة) بمكانتها المركزية ، وقد أخذت من اهتمام الطفلة الشيء الكثير كما يلاحظ الاهتمام الواضح في تمييز ألوانها وخطوطها المتشابكة في تناسق وتناغم إيقاعي ينم عن تقدير ذاتي من الطفلة لبيت الله الحرام (الكعبة).
- يتضح أيضا أن (أبرهة الحبشي)المعتدى الاثيم الذي قدم إلى مكة المكرمة لهدم الكعبة ليصرف الناس عنها له صورة محاطة بإطار يميزه عن باقي عناصر الرسم في اللوحة، وقد صوره خيال الطفلة بملابس فخمة مزخرفة ، وزين رأسه بتاج ملكي ، وقد وقف صامداً وقد احاطته الطفلة بوابل من الحجارة غطت معظم أجزاء جسمه القتها عليه الطيور الأبابيل.
- كما يبدو في هذا الرسم جنود أبرهة ممددين على الأرض أمواتاً وقد غطتهم الحجارة من كل ناحية كأنهم عصف مأكول كما حكى القرآن الكريم عنهم .
- وتبرز الدلالات الفنية في تعبير الطفلة من خلال هذه اللوحة في النواحي التالية : أن جميع الأشخاص التي تضمنتها اللوحة عدا صورة أبرهة الحبشي متشابهة ، فصور الجنود وصور أهل مكة مجرد رموز تحمل خبرة الطفلة عن المدرك الشكلي للإنسان سواء أكان عربيا أم أعجمياً برأس دائري وانف وعيون ، وقد اتخذت تخطيطات دائرية وجسماً هندسياً مستطيل الشكل واطراف دون تفاصيل ، وقد حذفت الطفلة العديد من الأرجل للأشخاص في لوحتها هذه .
- كما استخدمت الطفلة الصورة الاصطلاحية في رسم الحجارة ، فجعلتها مستديرة الشكل لملء الفراغ بطريقة خدمت المعنى الجوهري للقصة وهي رمي الطيور للمعتدين بالحجارة .

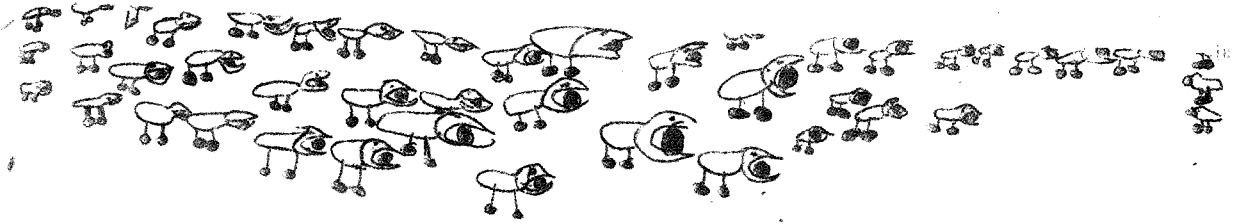

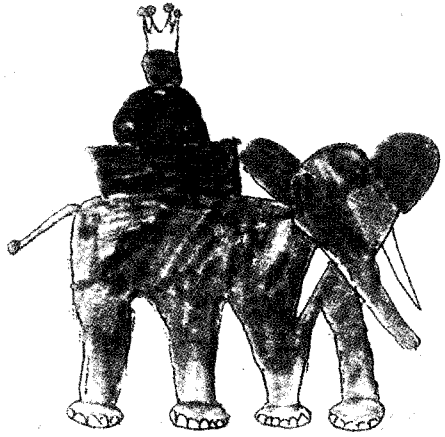

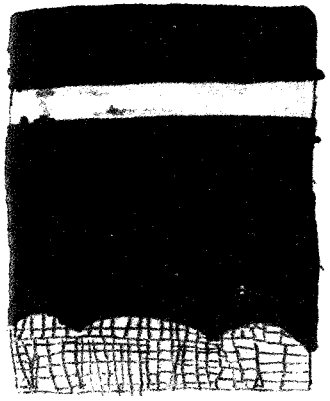

لوحة رقم (٥)

(٧سنوات)

- تعبر الطفلة في رسمها عن مضمون القصة مصورة لنا عناصر الحدث دون أن تقحم نفسها في محيطه بأي مشاركة انفعالية لنلحظ اختيارها للتعبير عن تأثرها بصورة المعتدى(أبرهة) القوي الذي بدا في هذا الرسم متوجا ومرتديا ملابس صبغتها الطفلة بالألوان الزاهية ، وقد اعتلى فيله العظيم الذي قادة من اليمن إلى مكة المكرمة لهدم الكعبة .
- المعجزة الألهية (الطير الأبابيل) التي خذلت الملك المغرور وقضت على معظم جيشه بدت في رسم الطفلة ، وقد غطت السماء في اللوحة بكثرتها وهي تحمل في منقارها الحجارة لتشرع في أي عمل ايجابي .
- كما توسطت الكعبة المشرفة لوحة الطفلة وأظهرتها بشكل بارز يدل على مكانتها في نفس الطفلة.
- وتبرز الدلالات الفنية في تعبير الطفلة من خلال هذه اللوحة في المبالغة في حجم الفيل بالنسبة لحجوم الأبل ورسم الموجز الشكلي للطير الذي عمدت الطفلة إلى تكراره كما يبدو واضحاً في هذا الرسم .

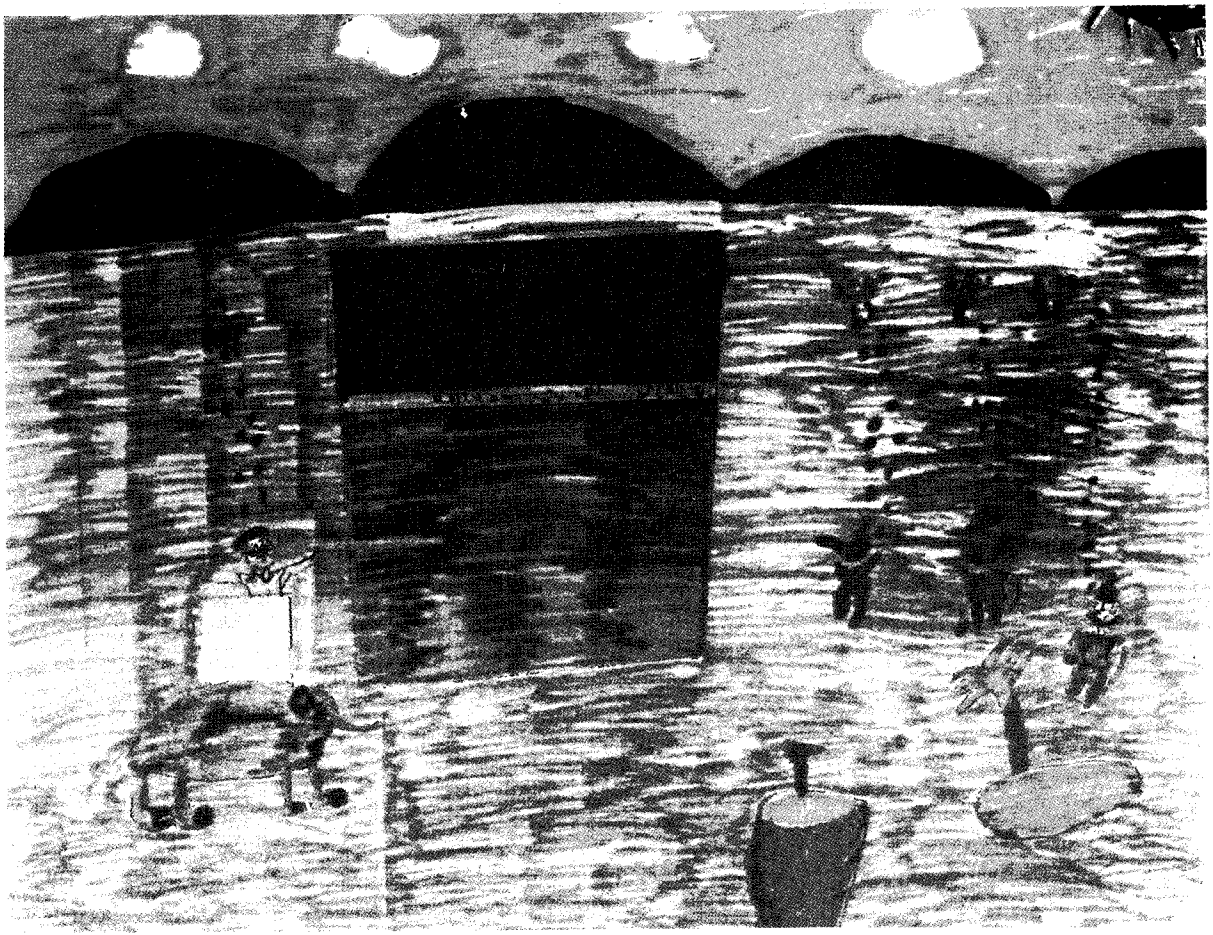

لوحة رقم (٦) (٧سنوات)

- نلاحظ هنا أن الطفلة قد عبرت عن مضمون القصة بأن رسمت عناصر أحداثها (الكعبة ، الطير ، الإنسان) دون رابطة موضوعية . وقد وجدناها ترسم الكعبة مربعة الشكل ومتميزة بحجم كبير وسط اللوحة ومنقوش عليها عبارة الشهادة (لا إله إلا الله محمد رسول الله).
- أما الطيور فقد رسمتها بطريقة غاية في الاصطلاحية وجردتها من تفصيلاتها حتى صارت رموزاً، وقد شكلتها من مجرد خطين مقوسين متفرعين من نقطة ، ويلاحظ في هذا الرسم صغر حجم فيل المعتدى بالنسبة للمساحة التي يشغلها حيز الكعبة المشرفة مما يدل على استصغار الطفلة لقوة المعتدى أمام قدرة الله سبحانه وتعالى وحمايته لبيته الشريف .
- وتبرز الدلالات الفنية في هذه اللوحة (فالمدرك الشكلي) الذي يميز طبيعة هذه المرحلة واضح في رسم الطفلة للإنسان، فالرأس دائري والجسم مستطيل ، وقد عمدت إلى التكرار في علاقته مع الطير والحجارة بنفس النمط الزخرفي، كما نلحظ خلوالرسم من أي إشارة للمكان أو الخط الأرضي .

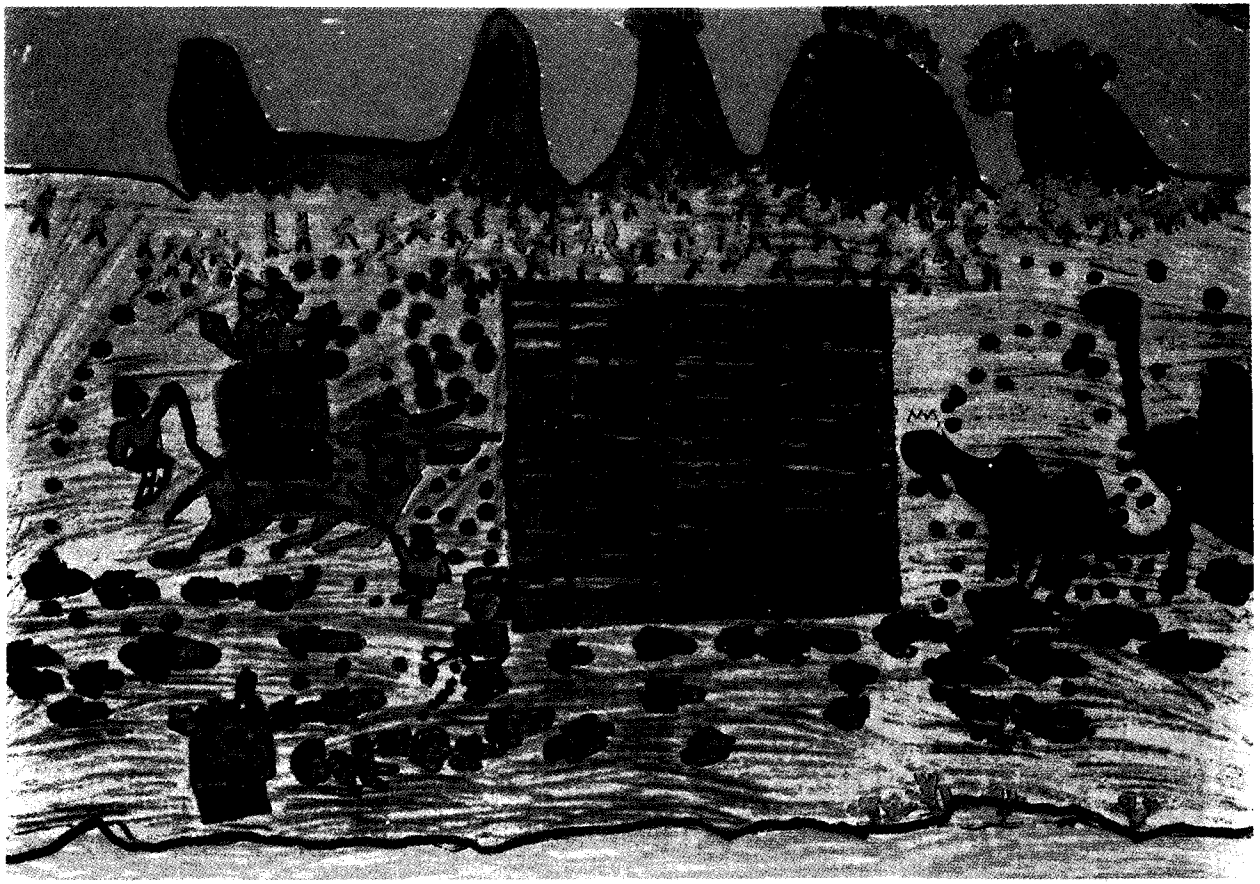

لوحة رقم (٧) (٩سنوات)

- يتضح من خلال تعبير الطفلة في هذا الرسم انفعالها بمضمون القصة ، ونجاحها في التعبير بسهولة عن جميع العناصر المتضمنة فيها ، فالفيل بلونه المتميز (الأزرق التركوازي)، وأهل مكة الذين احتموا بالجبال استجابة لنداء شيخهم وكبيرهم (عبد المطلب) يتابعون باهتمام بالغ تحقيق المعجزة الإلهية وقد انضموا بعضهم لبعض .
- كما تظهر الكعبة في رسم الطفلة في هيئة متناسقة وقد لونت بلون صريح متين وبخطوط مستقيمة واضحة كوضوح الحق ، وقد تراوحت الحجارة في بنائها بانتظام حقق التوازن في خطوطها وتكوينها مما يدل على قوة العقيدة ورسوخها في نفس الطفلة ، وقد أكدت الطفلة بمكانة هذا البيت وقربه من وجدانها ومشاعرها بأن كتبت على أعلى سطح جداره عبارة " لا اله إلا الله محمد رسول الله " .
- اما الطيور المعجزة الالهية ، التي حمت بيت الله بقدرته جلّ شأنه فقد بدت في هذا الرسم وقد حلقت بأسرابها وكلها متجهة نحو اليسار حيث موقع الفيل الذي برك على الأرض رغم ضخامته، وتظهر الطيور، وهي تحمل الحجارة التي ملأت بها الطفلة فراغ الرسم ترمي بها ابرهة وجيشة المعتدي .
- كما تبرز الطفلة صورة ابرهة ملقى على ظهره وقد ميزت رسمه باستخدام اللون الأحمر لملابسه وباعتلاء التاج الملكي على رأسه وزيادة للتعريف به فقد كتبت اسم ابرهة بجانبه ، واستخدمت الطفلة عنصر المبالغة في صياغة هيئته بالنسبة إلى باقي جنوده .
- اما الدلالات الفنية في هذه اللوحة فقد برزت في استخدام الطفلة لاسلوب المبالغة في رسم العناصر الأساسية لمضمون القصة ، فالكعبة كبيرة في حجمها ، متميزة في زخرفها وألوانها وتخطيطاتها الهندسية ، والفيل بلونه الزاهي وعناصره التزيينية .. كل هذا يبرز طبيعة التعبير الطفولي للرسم في هذه المرحلة العمرية .

لوحة رقم (٨)

(٧سنوات)

- تعبر الطفلة في هذا الرسم عن مضمون قصة أصحاب الفيل بوضوح حيث تبدو الكعبة تمثل الجزء الأكبر من الفراغ ، وقد حددت بشريط أسود سميك وقاتم ، وبداخل هذا الشريط مجموعة كتابات قرآنية ، أما الفيلة فقد رسمت بحجم صغير نسبيا ، وقد ظهر اثنان منهم أحدهما عن يمين الكعبة والآخر عن شمالها ، كما ظهرت الطيور في اللوحة بحجمها المهول تهاجم ابرهة وجنوده بشراسة ، في حين ظهرت صور الجنود ساكنة مستسلمة تتلقي ضربات الحجارة التي تناثرت في كل مكان .
- وتبرز الدلالات الفنية في رسم الطفلة في هذه اللوحة متمثلة في أساليب التسطيح والمبالغات التي خدمت التعبير عن مضمون القصة بطريقة رمزية . وهذه السمات الفنية تتفق مع طبيعة المرحلة العمرية لرسوم الأطفال .

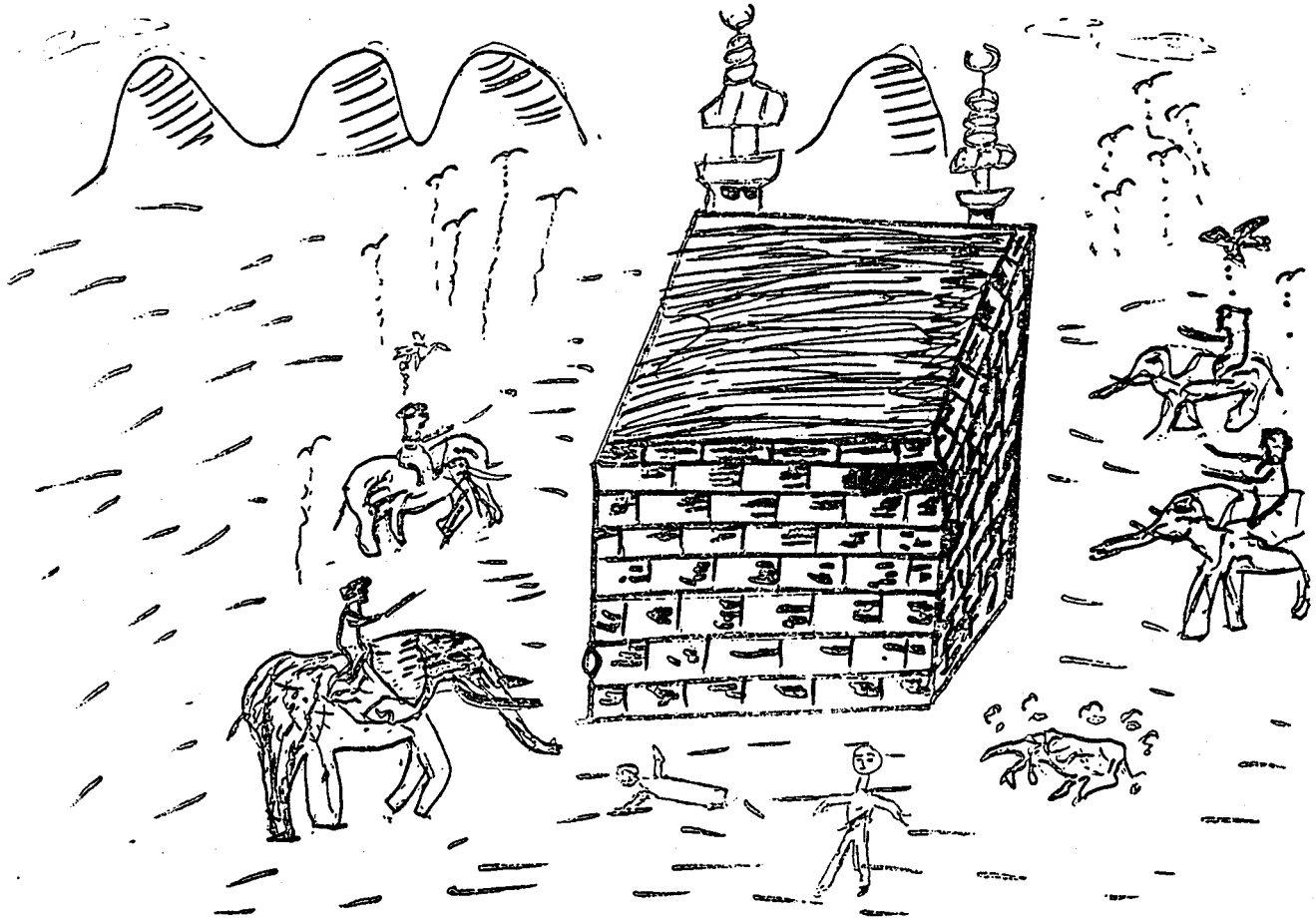

لوحة رقم (٩)

(٩سنوات)

- عبرت الطفلة عن مضمون قصة أصحاب الفيل برسمها للطيور وهي ترمي الحجارة بلونها الأحمر، كما ورد وصفها في القصة ، وتأكيداً على أهمية العنصر الذي يرمي إلى الخلاص الإلهي من بطش المعتدى ، وقد بدت الحجارة تشبه في سقوطها هطول المطر بغزارة . ورغم الطريقة الاصطلاحية التي استخدمتها الطفلة في رسم الطيور إلا أنها اعتنت برسم طائرين ، ميزتهما بتفاصيل أكثر من غيرهما وهما اللذان اقتربا من الفيلة ، كذلك ظهر فيل أسفل اللوحة متقلصا في حركته ، ضعيف البنية ، وقد هوى صريعاً على الأرض نتيجة للضربات المباشرة التي اصابت بها الطيور القريبة جدا منه .
- أظهرت الطفلة انفعالها بالحدث في الرسم بقوة بما تشهد به حركة الطيور في تنوع اتجاهاتها في دأب ، وهو ما أكسب الرسم أيضا سمات جمالية .
- ومن الدلالات التي ترجع إلى طبيعة رسوم الأطفال في هذه المرحلة وتبدو في هذه اللوحة، المبالغة في رسم الحجوم، وقد استعانت بها الطفلة في الرمز إلى أهمية الطيور القريبة من الفيلة والتي تعتبرها الطفلة تقوم بإنجاز مهام قدرية . كما استخدمت نفس السمات التي تميز مرحلة المدرك الشكلي في رسم باقي عناصر الرسم بما يتناسب مع سن الطفلة .

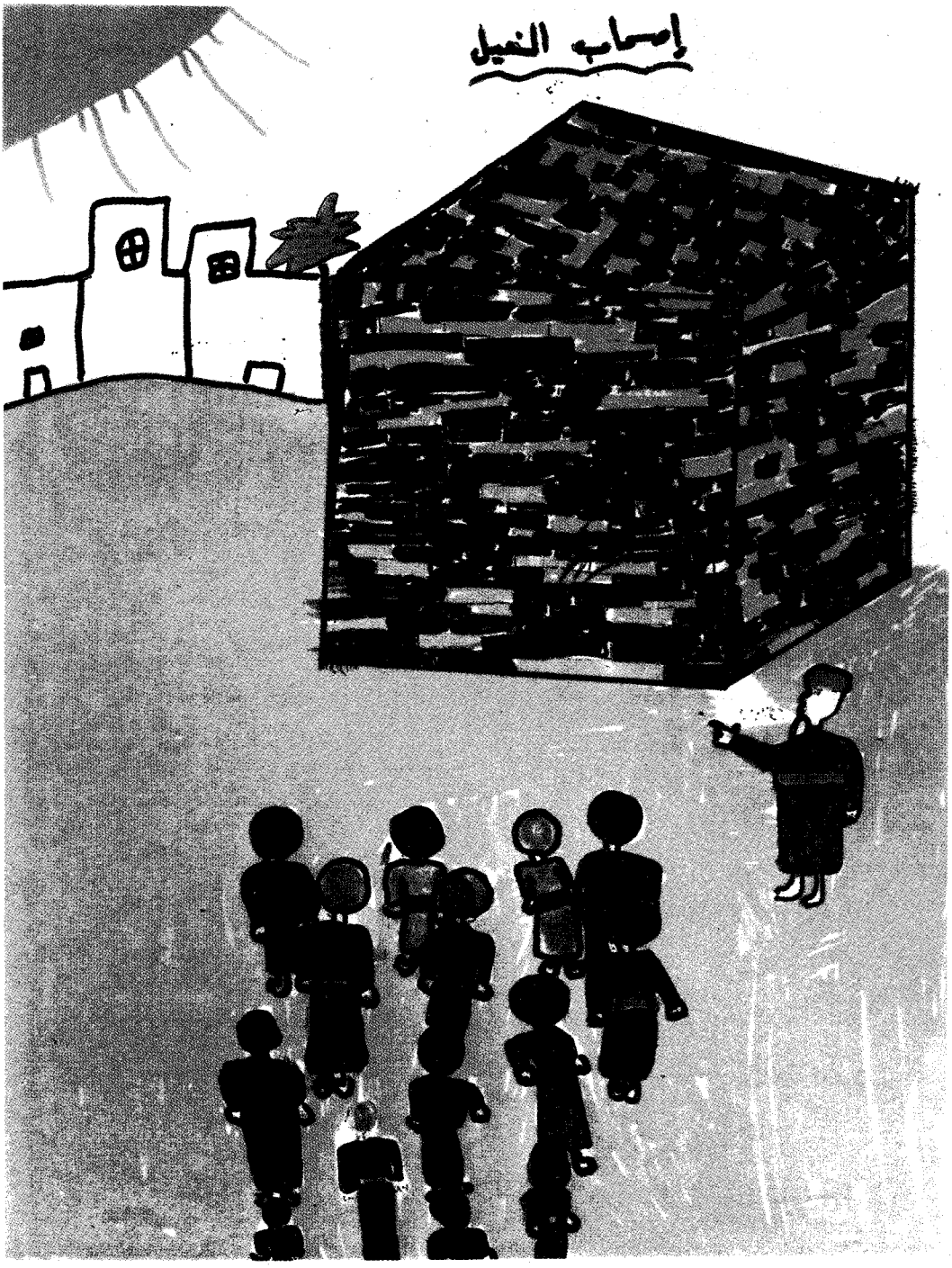

لوحة رقم (١٠)

(٩سنوات)

- عبرت الطفلة في رسمها عن مشهد وقوف شيخ مكة "عبد المطلب" في سكينة أمام غطرسة أبرهة، وقد كتبت الطفلة مقولته تخرج من فمه : " إني أنا رب الابل ، فأعد جمالي التي أخذتها"، أما الكعبة فإن للبيت رباً يحميه. وقد عمدت الطفلة على تأكيد الكعبة متجسدة ، فحاولت إكسابها الصفة الفراغية ، ولما كانت الكعبة تمثل العنصر الرئيسي في مضمون القصة فقد احتلت في رسم الطفلة المكانة الأساسية ، وقد اعتنت بتزيينها وتلوينها، وبدا عبد المطلب في مكانة بارزة يرمز إلى رسوخ الايمان بالقدرة الالهية على حماية بيت الله الحرام .
- اما العناصر الأخرى في الرسم فقد ظهرت ثانوية ، وقد تراصت صور الأشخاص يعطون ظهورهم للمشاهد ، ولم تعتن الطفلة برسم تفاصيل وجوههم، على اعتبار أنهم يمثلون أداة للكافر أبرهة، الذي لم تظهر له هيئة متميزة في الرسم . وقد إضافت الطفلة إلى رسمها عناصر من البيئة التي جرت فيها أحداث القصة ، وهو ما أكسب التعبير صفات جمالية كعمل فني . أما عن خلو التعبير من إشارات الصراع فيتفق مع رغبة الطفلة في التعبير عن معنى السكينة التي أظهرها عبد المطلب لإيمانه بقدرة الله عز وجل على حماية البيت العتيق .
- وتبرز الدلالات الفنية في هذا الرسم وأهمها أسلوب التسطيح ، فقد ظهرت في الرسم في أبعاد ثنائية بخطوط محيطية دون استخدام للألوان إشارة إلى ثانوية مثل هذه العناصر في التعبير عن مضمون القصة ، وكذلك صور الأشخاص الذين رسموا بطريقة اصطلاحية تتفق مع مرحلة المدرك الشكلي من رسوم الأطفال ، أما شكل الكعبة فقد ظهر متباينا مع باقي عناصر اللوحة رمزاً لمكانتها المقدسة .

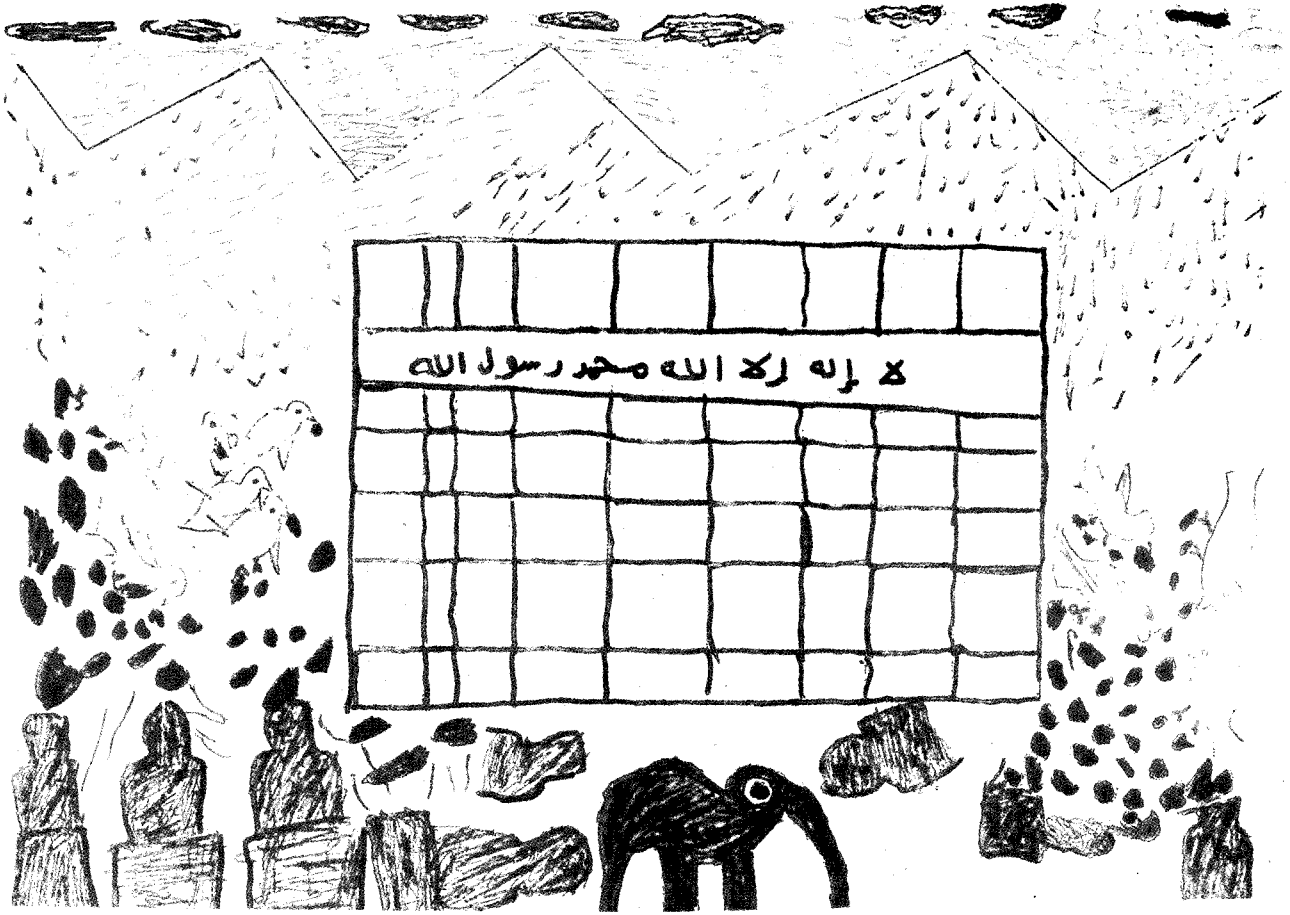

لوحة رقم (١١)

(٩سنوات)

- لقد كان أسلوب الحذف الذي يميز أطفال هذه المرحلة هو العنصر الرئيسي في هذه اللوحة فقد استعانت به الطفلة في تقطيع أجزاء كبيرة من جسد الجنود فتحولت إلى أشلاء رمزاً لهلاكهم مما يحرك مشاعر المشاهد رغم تجرد الرسم من التفاصيل ، ورغم التكرارات في رسم المدركات الشكلية لجزئيات منفردة دون وجود علاقات زمانية أو مكانية تحقق درامية الحدث ، فالطفلة تشبع هنا ميلها نحو الزخرف ونحو تأكيد معرفتها بالأشياء ومكوناتها .

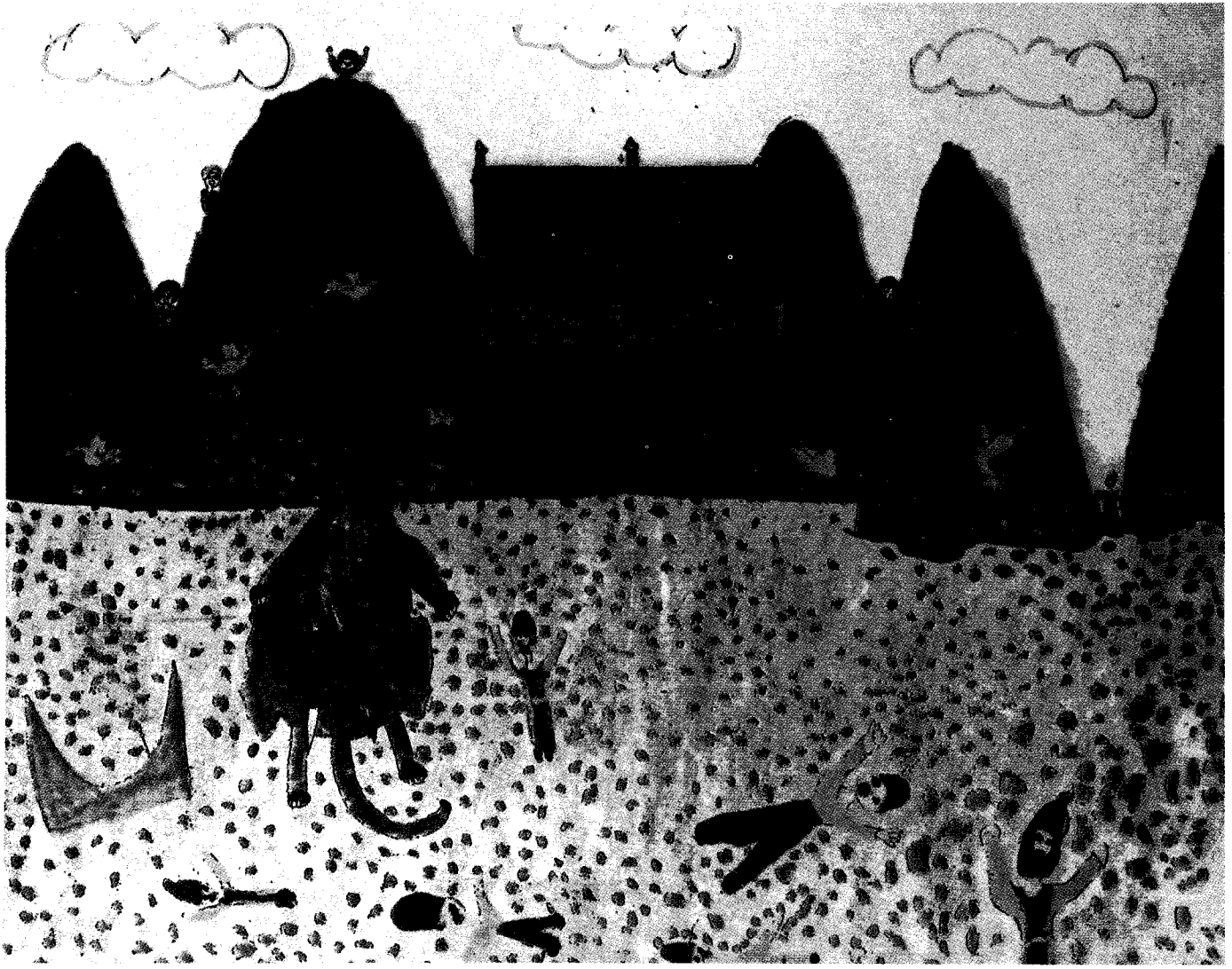

لوحة رقم (١٢) (٩سنوات)

- للتعبير عن مضمون قصة أصحاب الفيل ترسم الطفلة الكعبة في مكانة مركزية كما تحولت أشكال الطيور في رسم الطفلة إلى رموز اصطلاحية موجزة ، وكلما ارادت التنويع في تعبيراتها عن هذه الطيور وحركاتها غيرت من اتجاهاتها فقط ، دون تغيير في حركة جزئياتها أو أطرافها.
- لقد دأبت الطفلة على تكرار رموزها في هيئة متشابهة، حيث توصلت إلى موجزات شكلية لكل عنصر تعبر عنه . وقد جمعت الطفلة في تعبيراتها بين مميزات الاستمتاع بتكرار هذه الأشكال لخلق ايقاعات تناغمية جميلة وبين تناسب أعدادها الكبيرة مع ماورد في مضمون القصة من تفاصيل. اما صورة أبرهة فرغم تشابهها مع باقي الأشكال الآدمية الأخرى في الرسم نجد الطفلة تميز رسمة بلحية .
- وقد استخدمت الطفلة اسلوب المبالغة في صغر أحجام أهل مكة الذين ظهروا من وراء الجبل كناية عن وقوفهم في مكان قصى بعيداً عن بطش العدو تحقيقا لرغبة شيخهم عبد المطلب.
- اما صورة الفيل فقد صاغتها الطفلة بأسلوب واقعي معبر وقد اتخذ وضعية متميزة وهو يبرك على الأرض منهاراً في مواجهة المشئية الإلهية ، التي شلت حركته ، فظهر ضعيفاً رغم ضخامة حجمه . وبدت على ملامحه علامات الذعر والتعب في مواجهة الإرادة الإلهية التي تقف سداً منيعا تحمي البيت العتيق .

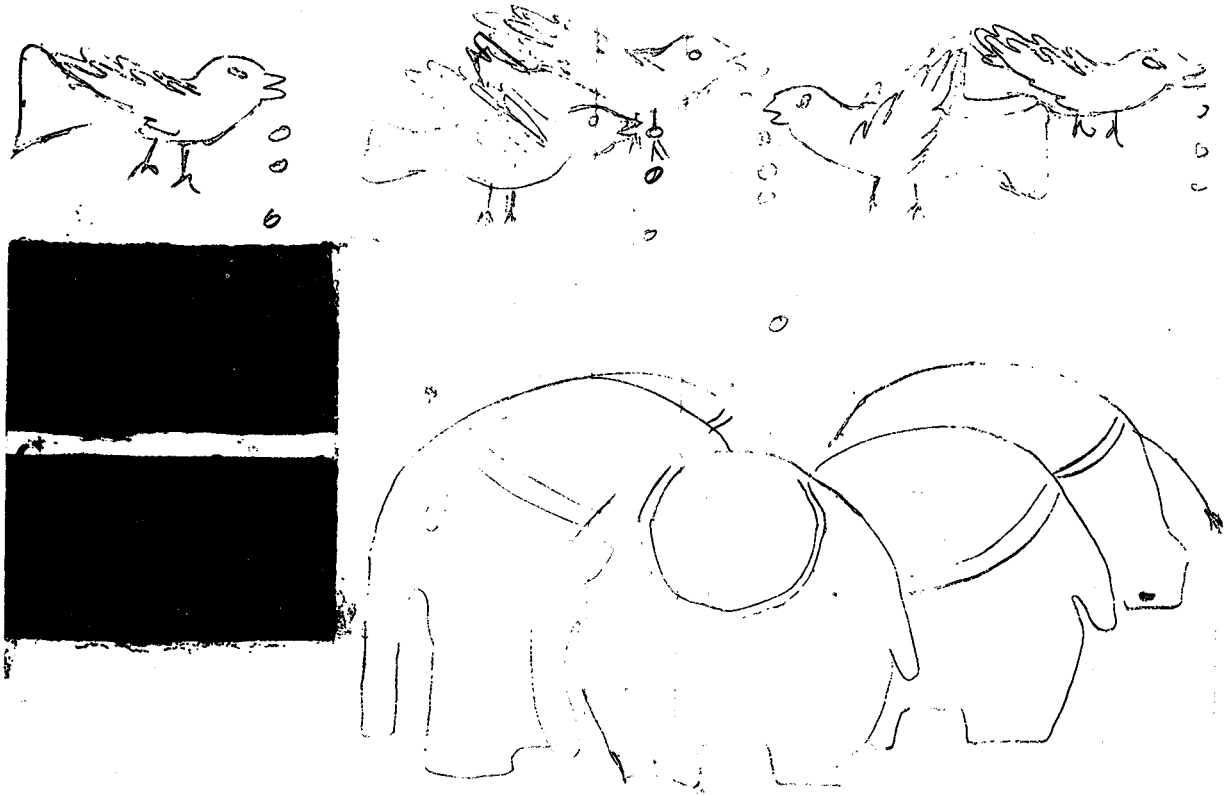

لوحة رقم (١٣)

(٧سنوات)

- تبالغ الطفلة في ضخامة حجوم الفيلة إذا ما قارناها بحجم الكعبة وقد رسمت هذه الفيلة كأنها كتل ثقيلة بخطوط دائرية (هندسية) صريحة خالية من الفراغات ، ومتشابهة في تكوينها ، ويبدو أن الطفلة تستمتع في رسمها برسم شكل الفيل فعمدت إلى تكراره تأكيداً على أهمية صورته في مخيلتها بخطوطها الانسابية وأشكالها ذات الخطوط المحيطية الجميلة .
- أما التنوع الكبير في التعبير بانفعال وإثارة فقد اظهرته رسوم الطيور بأحجامها الضخمة ، وبتنوع حركة اجنحتها وفي هيئتها المستوحشة ، انها تقوم بمهمتها الصعبة التي افترضت ضخامة حجمها حتى تتناسب في مخيلة الطفلة (٧سنوات) مع عظم هذه المهمة .
- فرغم أن وصف الطيور في القصة أشار إلى أنها كانت صغيرة ، إلا أن الطفلة التي تستعين في رسمها بإحساساتها المباشرة وخبرتها الذاتية ، رأت أن ضخامة الطير هي السبيل إلى الاقناع الذاتي بقدرتها على إصابة جنود أبرهة فتقتلهم ، وقد نوعت الطفلة في حركة أجنحة الطيور اجتهاداً في أداء مهمتها مما تعكسه الشحنة الانفعالية الكامنة في الرسم المعبر .
- أما تميز الكعبة فقد تحقق في رسم الطفلة باستخدام اللون الأسود القاتم والذي يتوسطه شريط أصفر صريح الخطوط وقد اتخذت الخطوط المحيطية أشكالاً منتظمة .

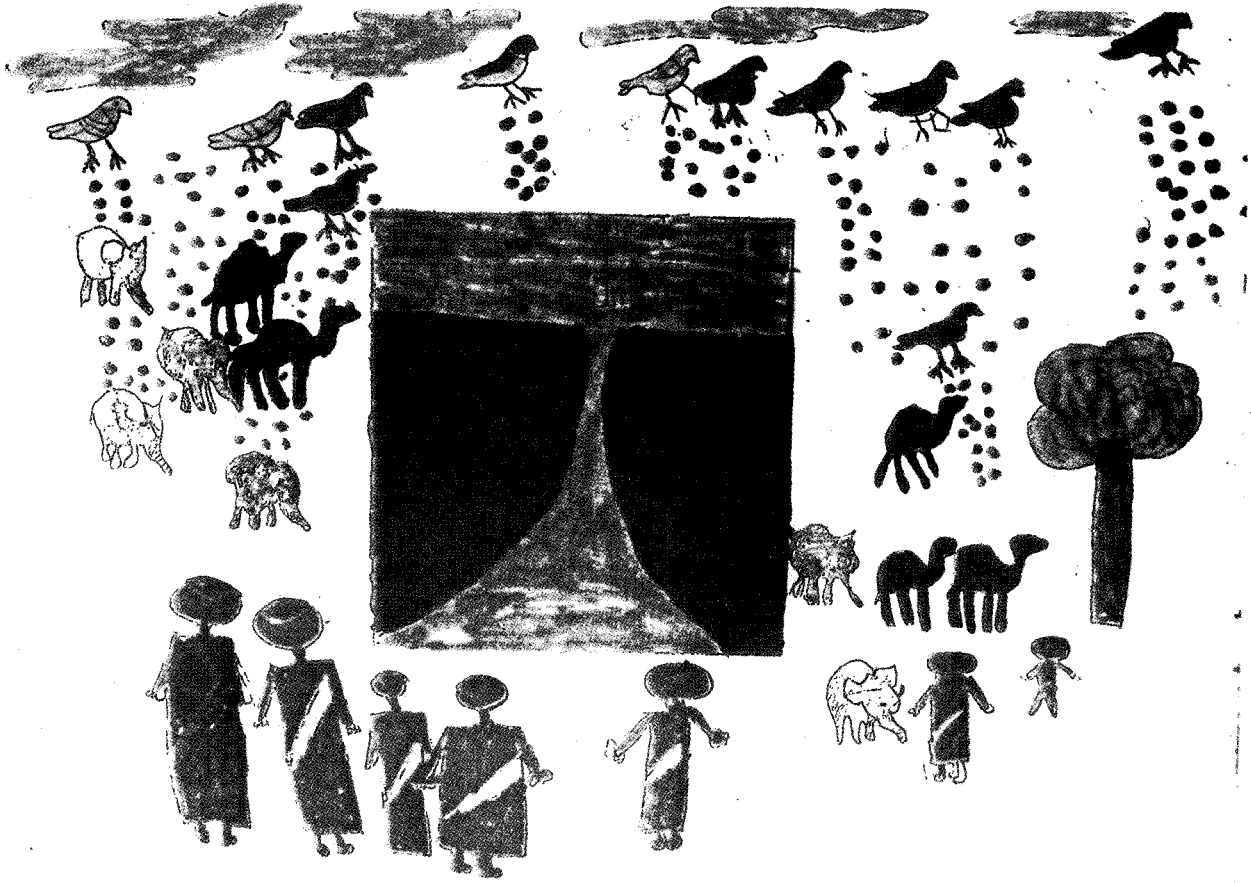

لوحة رقم (١٤) (٩سنوات)

- نلاحظ في هذا الرسم أن تعبير الطفلة عن مضمون القصة يظهر أن الطفلة على دراية سابقة برسوم مطبعية خاصة بالطيور والحيوانات مما اعتدناه في الكتب الموضحة برسوم ، ما نشاهده مطبوعا بقوالب مشفية ، ومن الجائز أن هناك توجيها من الخارج أدى إلى هذا النوع من المدرك الشكلي والذي برز في أشكال الجمال والفيلة والطيور .
- وعلى العكس قد لاحظنا صورة الإنسان لاتتمتع بأي ملامح محددة ، تميز شخصيات متنوعة ، وقد يرجع ذلك إلى رغبة الطفلة في استخدام الاسلوب الاصطلاحي في رسم الاشكال الإنسانية دون تحديد إن كانت جنوداً معتدين أم رجالاً أهل مكة أم حجاجاً ، وتبدو في اللوحة شجرة ذات أوراق خضراء كثيفة جميلة المظهر ذات نسق فني .
- ورغم ان جميع العناصر موزعة في الفراغ مع قليل من الروابط الرمزية أو التعبيرية فإن اظهار الطفلة جوانب معرفتها بها على مستوى راق مقارنة بمن في عمرها.
- ان ملء الصفحة في الرسم بالعناصر وتكرار كل عنصر على حدة تعبيراً عن أهمية العناصر في حد ذاتها داخل سياق الحدث " قصة أصحاب الفيل " ومكانتها المعنوية والعقائدية في وجدان الطفلة .لقد صنع تكرار مثل هذه العناصر ، وتوزيعها بطريقة خاصة ومتميزة ، ايقاعاً دائرياً حول نقطة مركزية تتمثل في مربع الكعبة ، وذلك ما اكسب الرسم عمقاً في فراغ الصورة بالرغم من الهيئة التسطيحية لكل عنصر على حدة .
- وايضا نجد تكرار الأشكال التي تمثل مدركات شكلية عن العالم الخارجي عند الطفلة يفسر على أنه نوع من الاستمتاع النفسي ، حيث تمكنت الطفلة من الامساك بصيغة رمزية قريبة للإدراك البصري وبطريقة آلية ظلت تكررها وتتفنن بتكرارها .

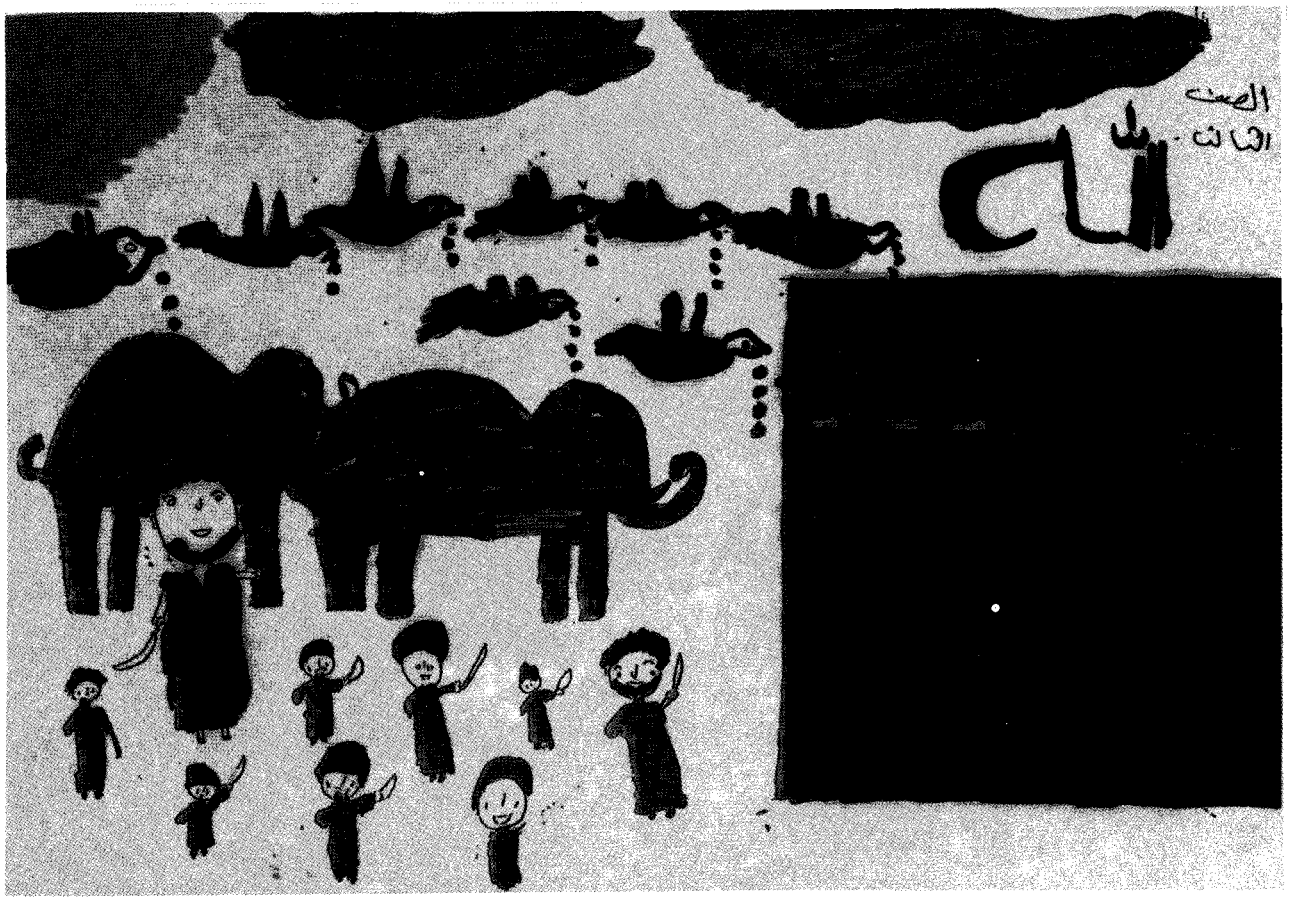

لوحة رقم (١٥)

(٩سنوات)

- عبرت الطفلة في رسمها لمضمون قصة أصحاب الفيل بأسلوب تعبيري ، استخدمت فيه الخطوط الحيوية التي تضيق وتنبسط بحركة تشبه انقباض اعضاء الكائنات الحية ، وقد ساعدت هذه الطريقة في الرسم على الإيحاء بحركة الطيران المضطربة والمخيفة والغاضبة في آن واحد ، اما الفيلة فقد ظهرت في الرسم وكأنها دُمى مصنوعة من الورق صماء لاتتحرك ، وقد لونت بالرماديات مما أفقدها حيويتها ، بما يشير إلى دورها الهامشي في فهم الطفلة لمضمون القصة ، فهي ترى أن الدور الحاسم تقوم به الطيور بحركتها الفزعة أثناء إغارتها على أعداء بيت الله الحرام .
- وقد لونت الكعبة باللون الأسود الذي ظهرت بداخله مساحات صفراء ، وهكذا يعكس لونها القاتم مشاعر التوقير والقداسة بخاصة عندما كتب على سطحها اسم الجلالة . اما وضعها اقصى يمين الرسم فقد بدى غير مألوف مما يشير إلى رغبة الطفلة في إكساب التعبير تميزاً فنياً .
- وفي الرسم اكتسبت ملامح الوجوه شخصياتها وتعبيراتها المميزة .
- ومن خصائص رسوم الأطفال التي ظهرت في الرسم أسلوب المبالغة التي اتبعته في رسم الأشخاص وبخاصة صورة أبرهة رمزاً لقوته وجبروته ، وكذلك أسلوب التكرار في رسم اشكال الأيدي في تشابهها وهي تقبض على السلاح، وفي اتجاهاتها نحو اليسار ، إلا أن الأسلوب الرمزي يعود فيؤكد على تميز شخصية أبرهة في الرسم، فيرسم يده قابضة على السيف ومتجهة لليمين (الاتجاه المعاكس).

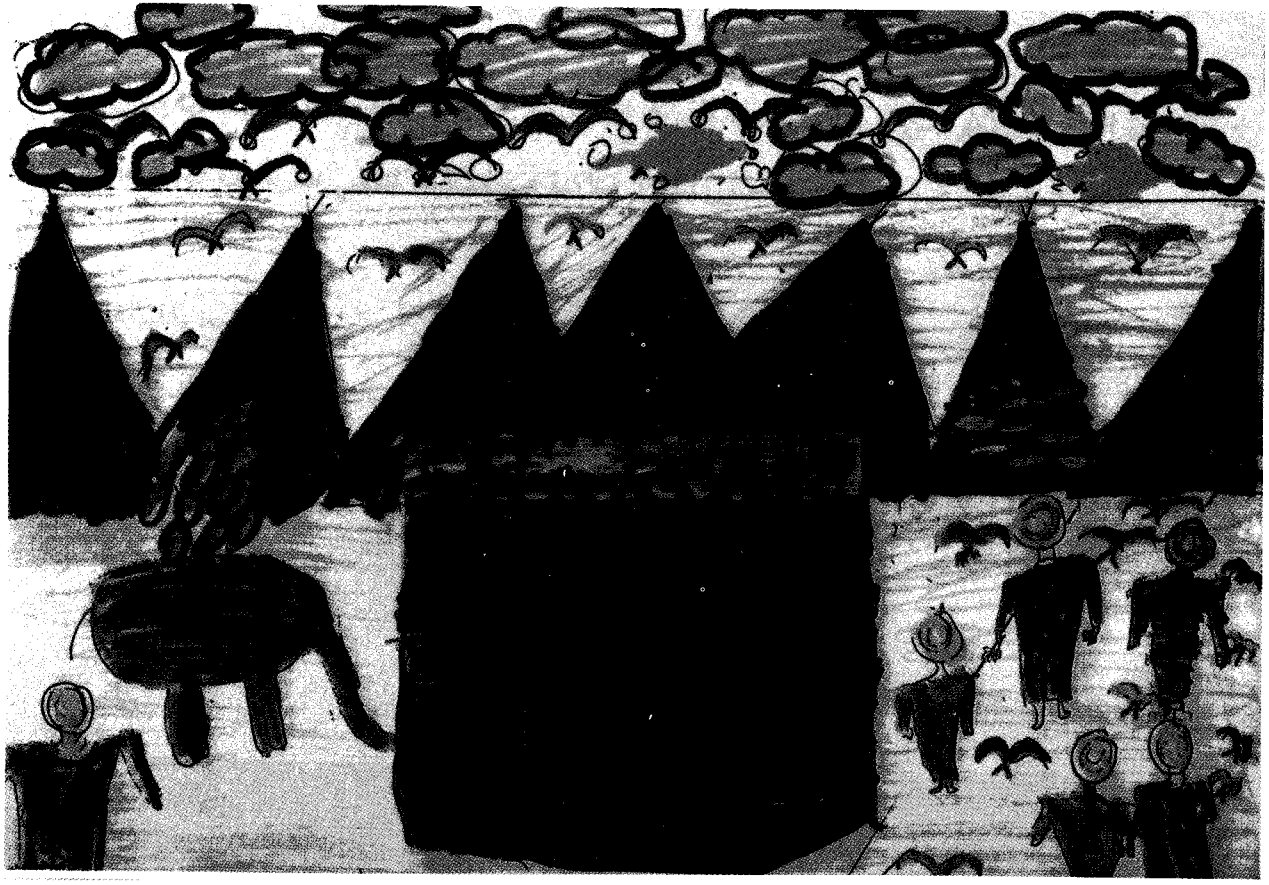

لوحة رقم (١٦) (٧سنوات)

- تبدو الطيور في تعبير الطفلة من خلال رسمها مضمون القصة ، وكأنها هبطت من السماء ومشت بأرجلها على الأرض ، هكذا جسدت مشهداً خياليا يتماشى مع التعبير عن القوى الغيبية باسلوب رمزي.
- كما رسمت الطفلة جنود أبرهة من ظهورهم ، رمزاً إلى استنكارها لفعلتهم وتعديهم على المحرمات، وقد محت ملامح شخصيتهم على اعتبار أنهم يمثلون أداة مسلوبة الإرادة دفعها المعتدى أبرهة للقيام عنوه بهذا العمل .
- أما الفيل فقد رسمته الطفلة مكملا لعناصر الحدث دون أن يمثل أي دور ذا أهمية في التعبير عن مضمون القصة . أما الكعبة بلونها الأسود وكتلة بنايتها الضخمة ، فقد اتبعت الطفلة في رسمها لها ، استخدام الإشارات للأبعاد الفراغية على الطريقة التسطيحية التي اتبعت في رسم باقي عناصر اللوحة .
- ومن الدلالات التي تميز سمات رسوم الأطفال في هذه المرحلة استخدام أساليب الرمز - ويتضح ذلك عندما رمزت الطفلة إلى العاصفة الرملية التي نتجت عن حركة الطير ، برسم أشكال مقوسة غير منتظمة في نهاياتها أشكال الحجارة ، ولونت باللون الأصفر الليموني .

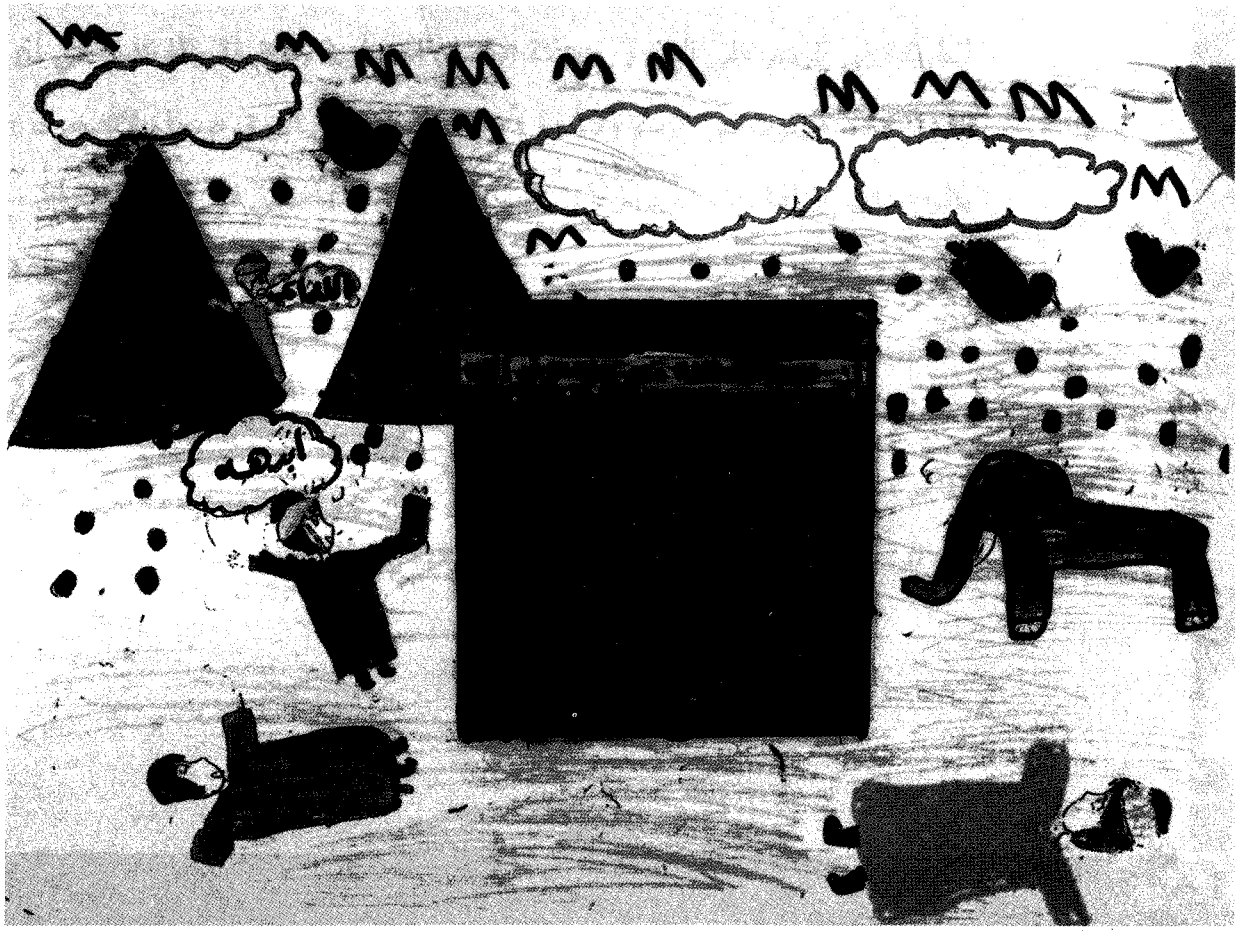

لوحة رقم (١٧)

(٩سنوات)

- من أهم اللازمـات التي برزت في رسم هذه الطفلة " ظاهرة الميل " حـيث نلاحظ الشخصين المرسومين جهة اليمين ، وجهة اليسار من فراغ اللوحة ، يمثلان رجلين قد سقطا على الارض من أثر ضربات الحجارة الملقاة من الطيور الغائرة ، فرغم وضعية هذين الشخصين الأفقية في علاقتها مع سطح الأرض إلا أنهما لايزالان يظهران في وضع الوقوف فقط فالذي فعلته الطفلة في رسمها هو أنها غيرت من خط أرض كل منهما فجعلت هذا الخط يتعامد مع خط أرض باقي الأشكال في سطح الرسم .
- كما استخدمت الطفلة في رسمها لشكل الجنود موجزاً شكليا هندسي الطابع، وقد ظهرت هذه الأشكال رافعة أيديها رمزاً للخوف الذي أصابهم كرد فعل العقاب الذي لحق بهم من جنود خفيه وراء أقنعة على هيئة الطير ، وتقذف الحجارة بقدره الله جلت عظمته . وقد جمعت الطفلة بين طريقتين في صياغة أشكال الطيور احداها غاية في الاصطلاحية باللون الأسود ، لاتتعدى الخط الزجزاجي والأخرى رسمت بها ثلاثة طيور واحداً منها بالأسود واثنين بالأحمر بطريقة تجسيمية تعبيرية .
- كما استخدمت الطفلة العبارات المكتوبة تأكيدا للمعنى الوجداني الذي أرادت أن توصله من خلال الأشكال ، مثل عبارة : " لا اله إلا الله محمد رسول الله " و " الله أكبر " ، وقد نطق بها لسان أحد رجال مكة (الوحيد الذي ظهر) وكأنه كان مختبئا وراء جبل .
- وقد رسم الفيل صغيراً بالنسبة إلى باقي العناصر وخاصة الطير الأحمر ، ويلاحظ أن الألوان قد استخدمت هنا من أجل المتعة التزيينية ، (الجمالية) وقد ظهر اللون الأحمر لتمييز زوج من الطير، وشكل أبرهة وسط الرسم بل إن الطفلة استخدمت رسم أبرهة المكتوب للتأكيد على صورته وتميزها.

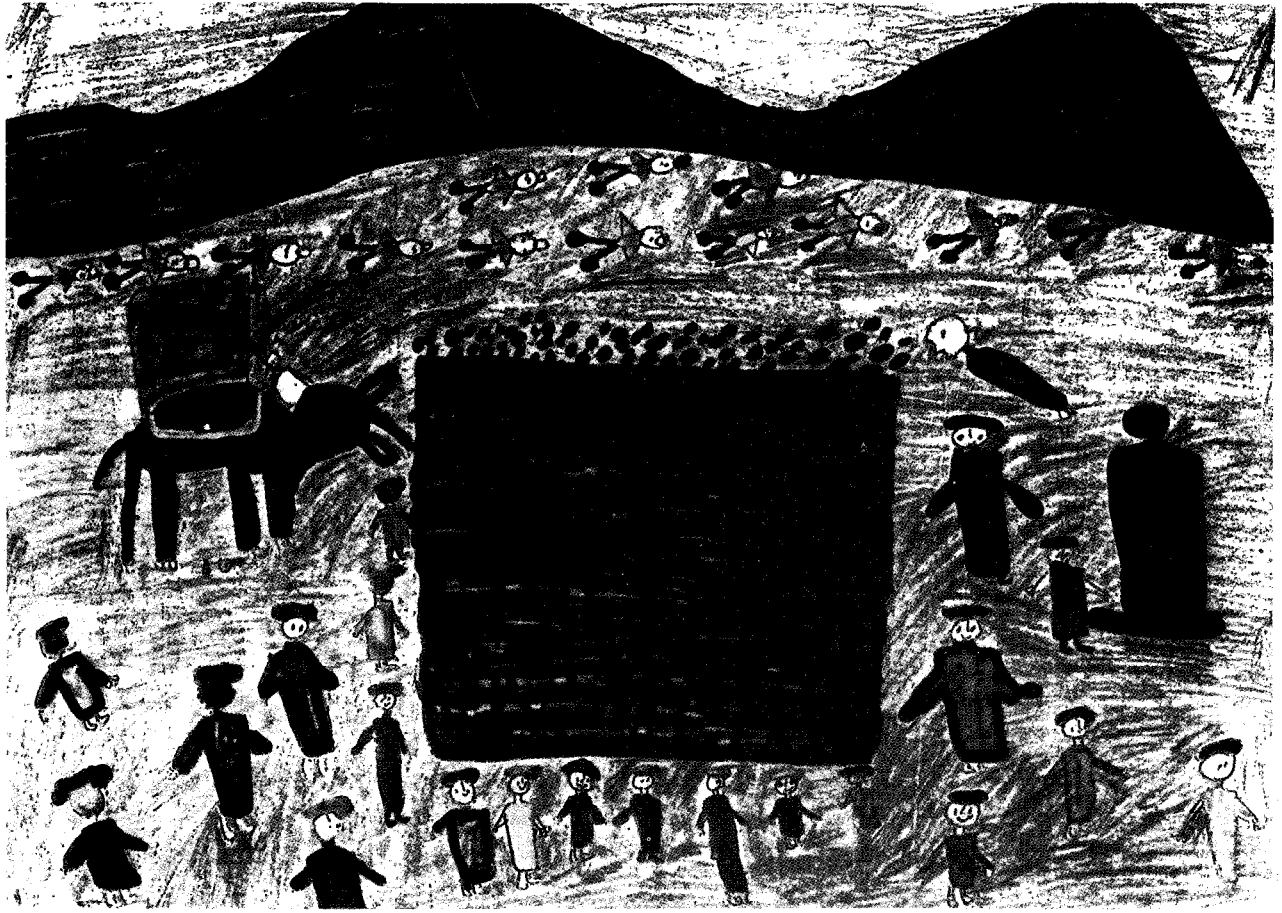

لوحة رقم (١٨) (٧سنوات)

- توصلت الطفلة في هذا الرسم إلى موجز شكلي للإنسان ، ظلت تكرره باستمتاع ، لتملأ به مسطح التكوين ، وهذا الموجز يميل إلى الهيئة الهندسية التي تشكلها الدوائر والمستطيلات ، وقد عمدت الطفلة إلى تغيير أحجام ذلك الموجز الشكلي في كل مرة ، من أجل أن ترمز إلى العمر أو من أجل أن توحي بالعمق الفراغي .
- أما عن استخدام اللون فكان هنا من أجل التمييز بين كل شكل عما يجاوره من أشكال وسط التكوين العام للصورة ومن أجل تحقيق المتعة الجمالية ، حيث ثراء الألوان وتنوعها ولكي توحد الطفلة بينها أحاطتها بوسط سائد محايد من اللون البني الفاتح .
- وقد رسمت الكعبة بحجم كبير ، مسطحة ، غير أن الطفلة اعتنت بأن زينتها بالأحجار المستطيلة المتنوعة الأحجام .
- كما ظهرت صورة أبرهة فوق فيله غير متميزه ، ولم تعتن الطفلة بتلوينه ، كما بدت وضعيته وهي تحقق نموذجاً لظاهرة " الميل " مثله مثل الشخص الذي يظهر مائلا على الجهة المقابلة لأبرهة ، وقد تجردت صورته من الأيدي، ويقصد بظاهرة الميل هنا أن الشخص يرسم وكأنه واقف بزاوية قائمة على سطح الأرض ، ويغير خط الأرض المرسوم عليه فيميل على مستوى سطح اللوحه ، وهي لازمة تتناسب مع طبيعة رسوم الأطفال في هذه المرحلة من عمر الطفلة .
- كما رسمت الطفلة وسط المشهد صنماً غامضاً بلون معتم ، وقد عمدت إلى استخدام الخطوط المحيطية لتأكيد أشكال الصورة وتميزها عن أرضيتها .
- إن الرسم محاولة للتعبير الرمزي تتناسب مع طفل سن التاسعة خاصة وأن رسم الطير يمثل فكرة الطفلة عن الطير ، كما ذكر في قصة أصحاب الفيل أكثر من كونه رجماً لطيور يمكن أن نراها في سمائنا وبإدراكنا البصري .

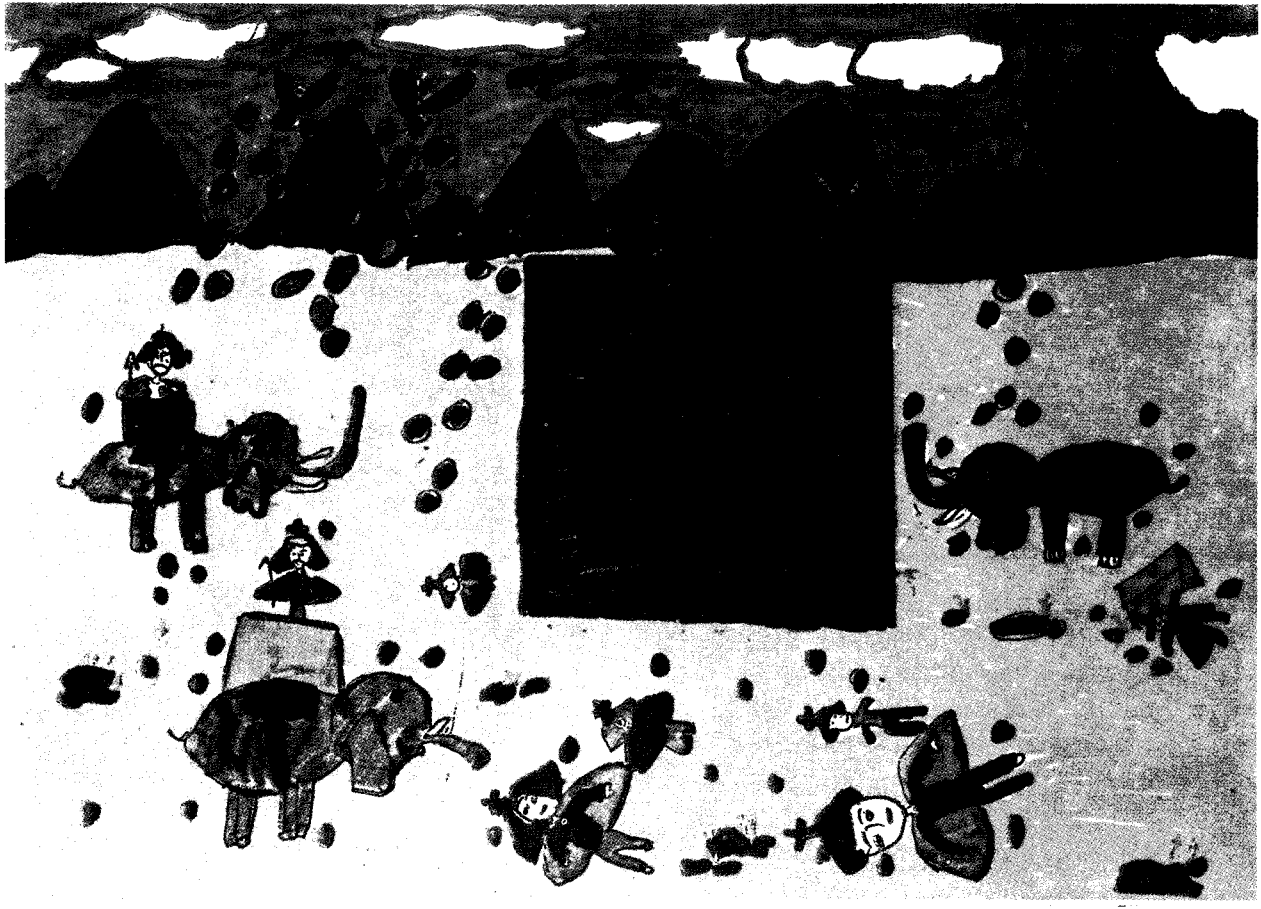

لوحة رقم (١٩) (٧سنوات)

- اشتمل تعبير الطفلة عن مضمون قصة أصحاب الفيل على العناصر الأساسية للقصة : الكعبة،الفيلة ، الطيور ، والجنود .
- كما ظهرت الطيور كفراشات تحلق في محيط السماء وكأن لها وجوها بشرية تنظر في اتجاهات مختلفة باحثة عن أهداف تلقى عليها حجارتها الثقيلة . أما الجنود فقد تميزت بزيها الخاص الذي ابتدعته مخيلة الطفلة حيث ميلها إلى التأكيد على القيم التزيينية في الأشكال والألوان وأيضا الاعتناء بالتفاصيل الدقيقة وربط بعضها البعض في علاقات جمالية .
- ونلاحظ أن المبالغة في حجوم الأشكال هنا لا ترجع إلى رغبة في تحقيق المعاني الرمزية ، وإنما تقوم على أساس جمالي من أجل ضمان التناسبات والتوازنات . ورغم هذه السمات الجمالية الغالبة على اسلوب الرسم إلا أن اللوحة لاتخلو من الأبعاد التعبيرية العميقة التي تشكلت باستخدام المبالغات المجازية وبالتنويع في الاتجاهات الحركية .
- ومن أهم سمات رسوم الأطفال التي ظهرت في تعبير الطفلة في رسمها هنا ما يعرف بظاهرة "الميل" وقد استخدمت في رسم الجنود إشارة إلى سقوطهم على الأرض ، فرغم وضعيتهم الأفقية، إلا أنهم ظلوا وكأنهم واقفون، فقط الذي تغير في الرسم هو خط الأرض الذي يقف عليه الجنود حيث تحرك اتجاهه الأفقي إلى الاتجاه الرأسي في علاقته بفراغ الرسم .

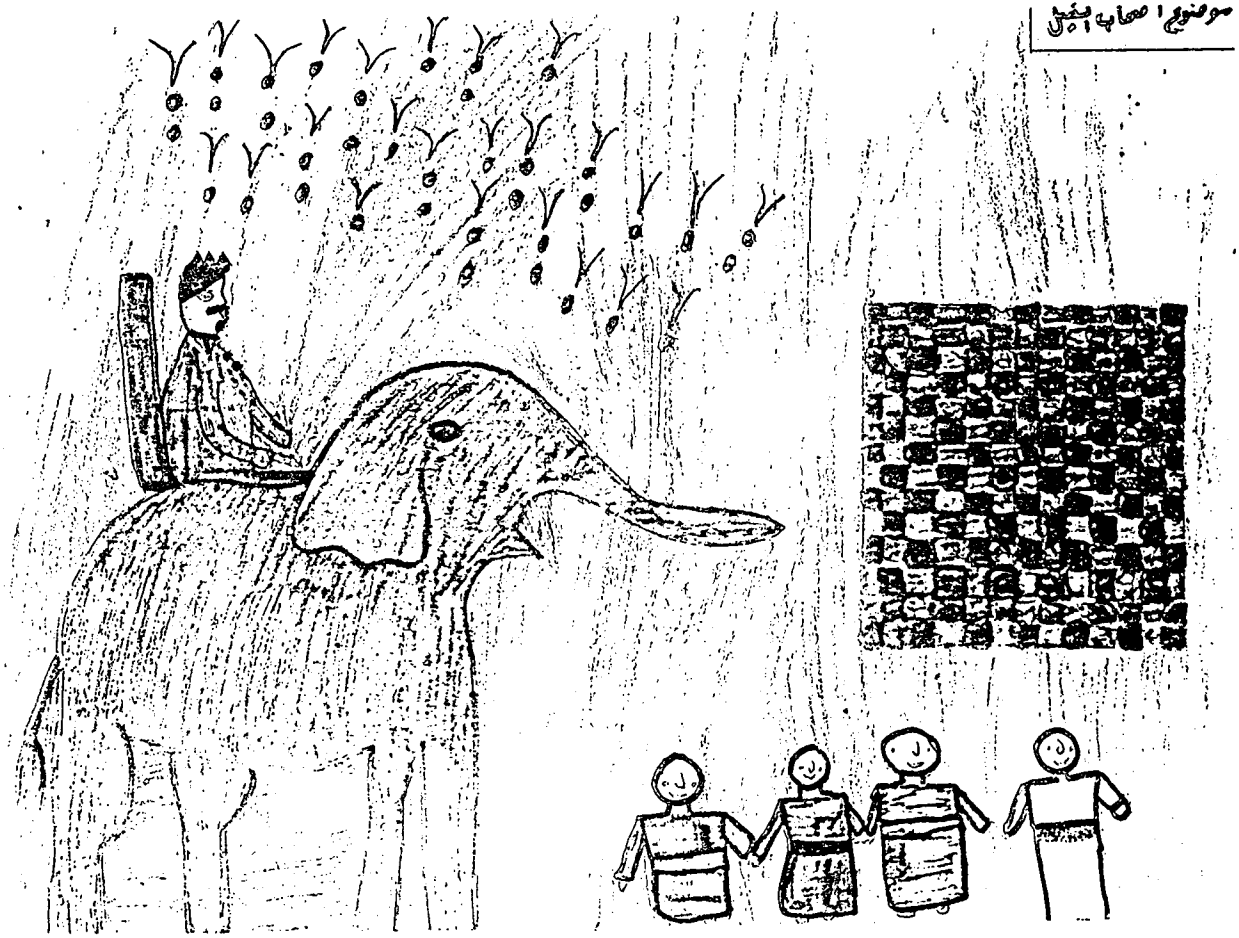

لوحة رقم (٢٠)

(٩سنوات)

- من أهم العناصر التي عبرت عنها الطفلة في رسمها لمضمون قصة أصحاب الفيل ، هو الفيل ذاته فنراه وقد احتل الجزء الأكبر من فراغ الرسم ، وكشفت طريقة رسمه عن معرفة بصرية تمتعت بها الطفلة كحيوان له هيئته التركيبة الخاصة بتفاصيلها ، وقد بدت صورته متكتله وتوحي بالحركة، بل ويمكن أن توحي مجازاً بصوت يصيح ، وقد ساعد في الإشارة إلى ذلك رمزاً بفتح الفم وبرفع خرطومه لأعلى .
- أما الكعبة فقد بدت كمربع زخرفي اعتنت الطفلة بنقوشه الهندسية التي خلت من الصفة التجسيمية ، كما ظهرت صورة أبرهة في الرسم في هيئة ملكية ، وهو يعتلى ظهر الفيل .
- لقد اجتمع في الرسم الأسلوبان الرمزي ، حينما رسمت الطيور ، والتعبيري التجسيدي في رسم الفيل .
- وهكذا اتضحت مميزات رسوم الأطفال في هذه اللوحة من حيث استخدام الرمز المجرد في رسم الطيور، واستخدام أسلوب التكرار الذي يكشف عن استمتاع الطفله به في صنع إيقاعي.
- وكذلك أسلوب التسطيح في رسم الكعبة ، وفي طريقة الرسم بترصيص العناصر ، واستخدام الأشكال الهندسية البسيطة مثل الدائرة في صياغة المدركات الشكلية وخاصة في رسم الوجوة من الزاوية الأمامية ، باستثناء بعض الوجوه ومنها وجه أبرهة الذي ظهر من الزاوية الجانبية واعتنت الطفلة برسم تفاصيله رغبة في تمييز هيئته إشارة إلى دوره الرئيسي في أحداث القصة .

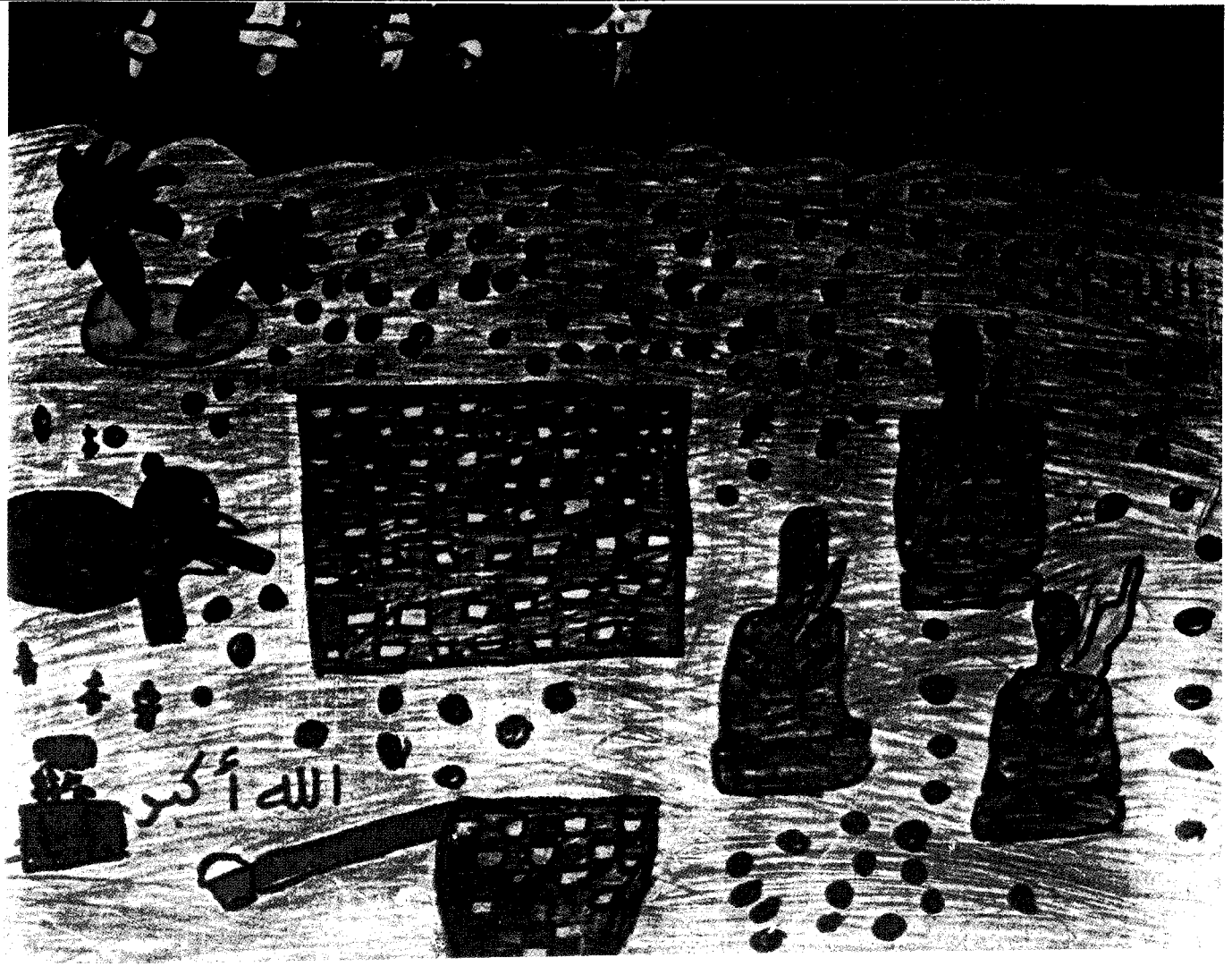

لوحة رقم (٢١)

(٧سنوات)

- إن الطفلة في رسمها لمضمون قصة أصحاب الفيل ابتدعت عالماً غير مألوف وسط صحراء سماؤها قاتمة لدرجة السواد ، مغَبرة بالرمال ، تسبح في محيطها طيور غريبة الشكل صفراء اللون بها حمرة ، متجهه يساراً ، وكأن بين أرجلها قذائف نارية. وقد انتشرت الأحجار في كل أنحاء الرسم ، وقد وقعت على الأرض ، كما ظهرت التماثيل (الأصنام) وكأنها كائنات تحجرت تقف وسط الصحراء ، وتحتضن بين أيديها ناراً ، وبزغت في خلفية الرسم واحة ترمز إلى الأمل ، خضراء اللون، نبتت في أرضها نخلتان تظهران بوضوح في الرسم .
- أما الفيل فيبدو ممتلىء البنية ، مزركشا على ظهره سرج بنقوش على أرضية حمراء ، ورسمت الكعبة قصيرة غير منتظمة في توزيع حجارتها ، يقع أمامها بئر .
- ومن الدلالات التي تميز شكل الرسم في مثل هذه المرحلة استخدام اسلوب المبالغة في حجوم الأشكال، وذلك ما نلاحظه في أجنحة الطيور المرفوعة لأعلى أو الهابطة لأسفل وترمز إلى حالة التوتر والاستنفار تحفزاً لإطلاق القذائف (الحجارة).
- والأسلوب الرمزي قد استخدم أيضا في رسم الجنود المبالغ في صغر حجمهم بالقرب من البئر دون أي تفاصيل تكشف عن ملامحهم ، كناية عن استنكار الطفلة لفعلتهم الشنعاء . هكذا كانت التحريفات قد صنعت من صور الجنود بصغر حجومهم المبالغ فيه لتوحي بمعان ذهنية حالت فقط في خاطر الطفلة حول معنى الاعتداء الغاشم ، وهو ما نعهده ممن في مثل سنها .

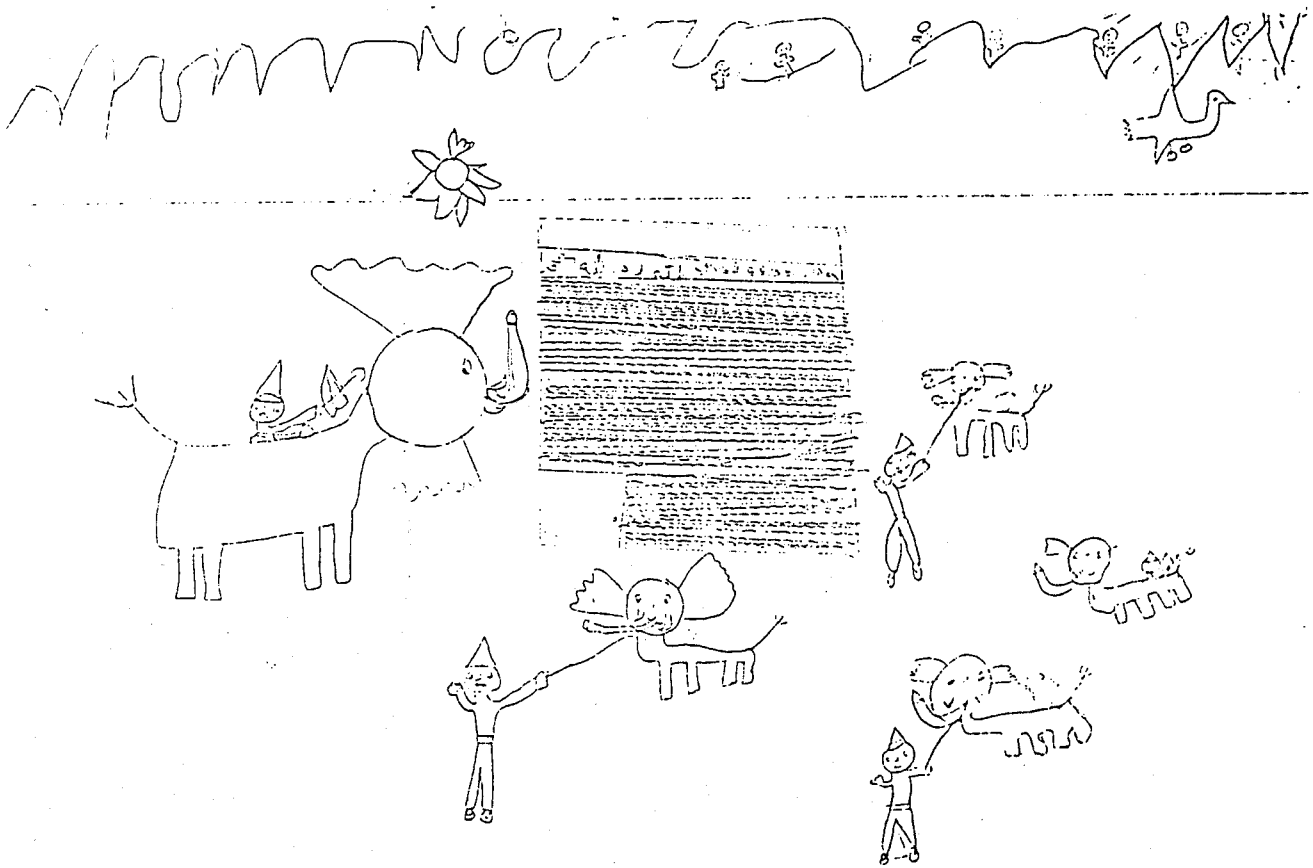

لوحة رقم (٢٢)

(٧سنوات)

- عبرت الطفلة عن مضمون القصة هنا من خلال مشاعرها الذاتية ، عندما رسمت العناصر دون رابطة مكانية منطقية ، هكذا بدا الرسم وكأنه تجميع لسلسلة متتابعة من العناصر التي وردت في القصة ، فيلة وجنود إضافة إلى الكعبة ، وتوحي الطفلة في رسمها بأنها كانت تستمتع برسم كل عنصر دون رابطة انفعالية ،وقد برز الشكل الدائري عنصراً سائداً في الرسم ، فهو يمثل وجه الفيلة ، ورسمت به وجوه الجنود وقرص الشمس والعيون . ولما كانت الطفلة قد توصلت في الرسم إلى موجزات شكلية لكل عنصر ، فقد أصبحت تستمتع بجمالية تكرارها في إيقاع تناغمي ، مثلما تستمتع بتناغم الخطوط التي زينت بها الكعبة كعنصر رئيسي في الرسم مثلما هو كذلك في القصة والعقيدة .
- ويتضح أن الطفلة غير معنية بالمغزى الحقيقي لمضمون قصة أصحاب الفيل ولا بفكرة الصراع الناشىء بين شخصياتها وإنما انحصر اهتمامها بالقيم التزيينية ، وذلك يتفق مع طبيعة الرسم في هذه المرحلة من عمر الطفلة ، حيث عدم الاكتراث بالغايات الواقعية أو المفاهيم المنطقية .
- وقد ظهرت من مميزات رسوم الأطفال التي تميز هذه المرحلة الاستعانة بعمليات التصغير أو التكبير ، والمبالغات الحجومية واستخدام الأشكال الهندسية البسيطة مثل الدائرة في رسم معظم العناصر .

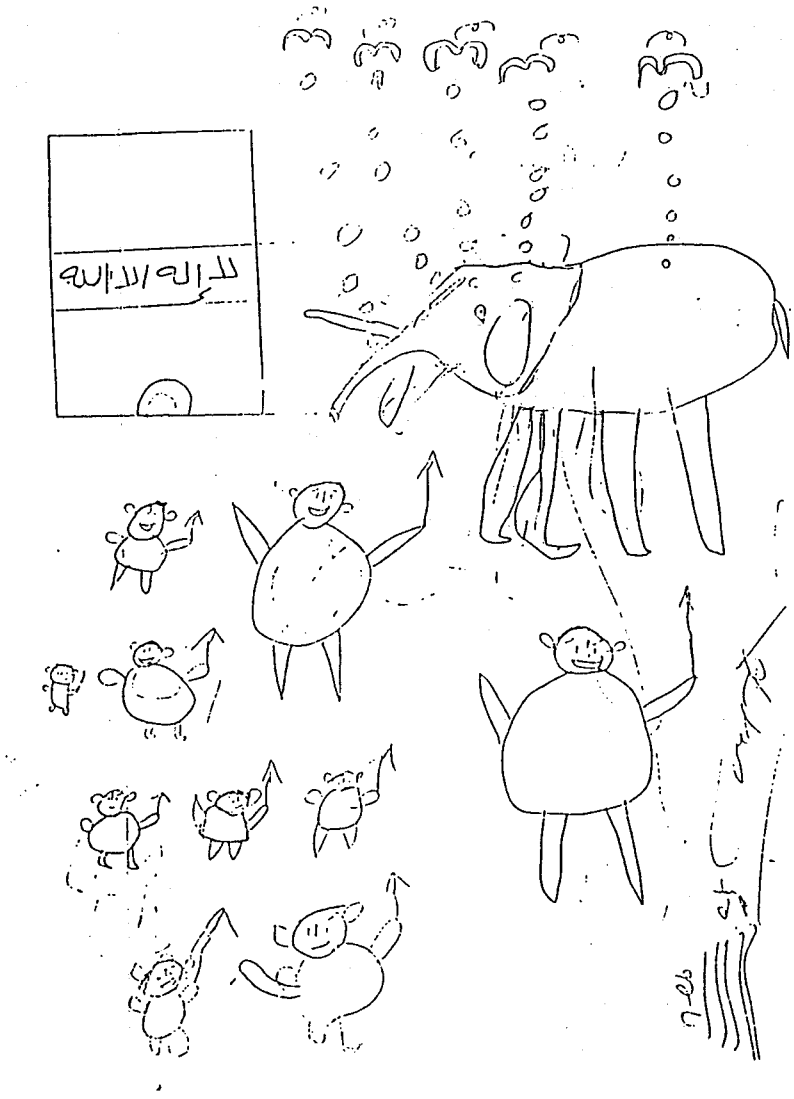

لوحة رقم (٢٣) **(٧سنوات)**

- يحتل الفيل في تعبير الطفلة عن مضمون القصة ، المكانة الرئيسية لذا بالغت في حجمه فهو أكبر من حجم الكعبة ، وفي هذه المرحلة يميل الطفل عادة إلى تضخيم الأجزاء التي لها مكانة حيوية وهامة ، وقد استخدمت الطفلة هنا أسلوب التحريف ، عندما أخضعت كل الأشكال الحية إلى الهيئة الدائرية ، الرؤوس والأجسام والاطراف ، ان طريقة رمزية ابتدعتها مخيلة الطفلة وعاطفتها تجاه الأشياء التي اندمجت في خبرتها الذاتية .
- لقد مثلت الطفلة هنا ما تعرفه عن الإنسان والحيوان ، أكثر من كونها تمثل مثل هذه العناصر مندمجة في الحدث الواقعي . وذلك يفسر مظهر الجنود الممتلئين الذي يتجولون بأسلحتهم غير مكترثين بما يسقط فوق رؤوسهم من الحجارة ، إن غاية الطفلة في رسمها هنا تحقيق المتعة من خلال الرسم الذي أضاف على هذه اللوحة جماليات برزت في التخطيطات والتوزيعات الشكلية هنا.

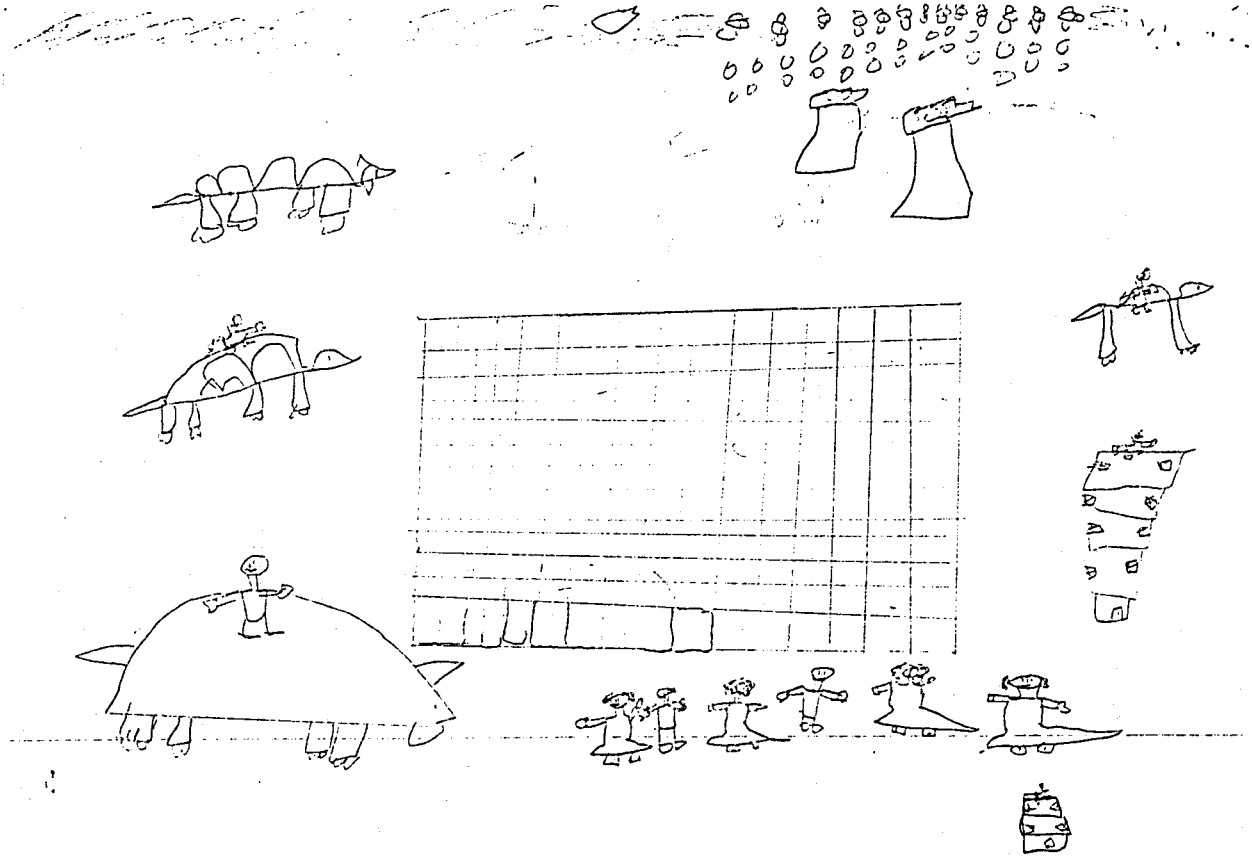

لوحة رقم (٢٤) (٧سنوات)

- اشتمل رسم الطفلة في هذه اللوحة على جميع العناصر التي أوحى بها مضمون قصة أصحاب الفيل : الكعبة، الفيلة ، الطيور ، الجنود .
- وقد استخدمت الطفلة في هذا الرسم أساليب التسطيح والشفافية والمبالغة ، بما يتفق مع سنها، ومع طبيعتها المزاجية ، فهي تستمتع في الرسم بالقيم التزيينية أكثر من استمتاعها بأغراض التعبير . وقد وزعت الرموز بطريقة تجزيئية ، كل على حدة ، ورسمت التفصيلات ، في محاولة تثبت أن الطفلة لم تنس أي عنصر قد احتفظتْ به في مخيلتها ، واشتملت عليه خبراتها الذاتية عن الموضوع ، غير أن صلة كل جزء بالآخر في الرسم تقوم على أساس التمثيل المجازي في الجمع بين العناصر التي تشتمل على الخبرة ذاتها. وقد استعانت الطفلة بأسلوب الشفافية في الكشف عن الأجزاء من الموضوعات التي ترسمها والتي من المفترض أنها تكون في الواقع المرئي مستترة ، غير أن الطفلة ترسمها لأنها موجودة في خبرتها عن الشيء رغم كونها لا تراها في الواقع .

الاستنتاجات :

من الدراسة التحليلية لرسوم أطفال عينة الدراسة نستنتج مايلي :-

- تأكدت حقيقة أن الرسم نشاط إنساني يمكن من خلاله التعبير عن المعاني النفسية والروحية.
- أن الأسلوب الرمزي الذي تتميز به رسوم الأطفال يتفق مع أغراض التعبير عن قصص المعجزات بأبعادها الزمانية والمكانية التي لا تدرك بمعايير الإدراك الطبيعية (الفسيولوجية).
- أن اشتمال معظم رسوم الأطفال (أفراد عينة الدراسة) على عناصر كتابية من أجل تسمية بعض الاشكال يوضح إمكانية الربط بين التعبير الفني والمجالات المعرفية الأخرى في خبرة الأطفال .

- أن الدلالات الفنية والصور الاصطلاحية التي ظهرت في رسوم معظم الأطفال (افراد عينة الدراسة) والتي تحمل خبرتهم ومدركاتهم الشكلية قد عبرت بأسلوب بلاغي عن مجريات الحدث (المعجزة) ومضمونه ، وقد برز ذلك في أساليب التلخيص والتكرار الإيقاعي ، والتسطيح والتحريف الشكلي . وهكذا جُمع بين الأغراض التعبيرية والجمالية في آن واحد معاً.
- أن إتاحة الفرصة للتعبير بحرية - دون التقيد بأسلوب مدرسي في الرسم قد شجع الأطفال على التعبير بحيوية فظهرت الرموز الصورية غير تقليدية بل مبتكرة وهي تجسد المعاني الروحية التي برزت من خلال رسوم الأطفال أفراد العينة في هذه الدراسة .

التوصيات :

في ضوء النتائج التي تم التوصل إليها في الدراسة الحالية يوصي الباحثان بما يلي :

- التأكيد على رفع مستوى الإحساس الديني لدى وجدان الأطفال من خلال التعبير عن المعاني الروحية المقدسة بواسطة الرسم .
- تشجيع التعبير بالرسم عن الموضوعات المستوحاة من القصص الديني لما لها من أثر في تحقيق الأبعاد الروحية القريبة إلى وجدان الطفل ، إضافة إلى الإبعاد الشكلية والجمالية .
- تشجيع الربط والتكامل بين فروع المواد المختلفة ضمن المناهج الدراسية بمختلف المراحل التعليمية بدولة قطر .
- تقدير الفروق الفردية في رسوم الأطفال حيث إن الرسم في المرحلة الابتدائية يمثل خبرة الطفل بشكل شمولي يتضمن أحاسيسه ومشاعره التي تختلف من طفل إلى آخر .

- التأكيد على أهمية استخدام الأفلام وأشرطة الفيديو لما تسهم به من تثبيت للمعلومات والاحتفاظ بها مدة أطول .
- إجراء المزيد من البحوث والدراسات التي تستند إلى نظريات التحليل الفني لرسوم الأطفال من أجل التعرف على مدى استيعاب مضامين المواد المعرفية المختلفة (وخاصة الإنسانية) من خلال التعبير الفني (الدلالات الجمالية والتعبيرية).
- إجراء المزيد من البحوث والدراسات لمختلف مراحل سلم النمو الفني للتعرف على الدلالات الفنية والتعبيرية في مراحل التعليم العام بدولة قطر لموضوعات أخرى من صميم المناهج الدراسية المقررة .

المراجـــع

1 - A.G. Lehmann : ***The Symbdist Aesthetic in France***, Basil , Blackwell, OxFord, 1950, p.270.

٢- محمود البسيوني : **سيكولوجية رسوم الأطفال**،القاهرة ، دار المعارف ، ط-٢ ، ١٩٨٤، ص١٦٨.

3 - Rhod Kellogy : ***Analyzsing Children's Art***, California , May Field Publishing Company Palo Alto, , 1969.

٤- محمود البسيوني : **الفن والتربية** ، القاهرة ، دار المعارف ، ط -٣، ١٩٨٤.

٥- محمود البسيوني : **تحليل رسوم الأطفال** ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٨٧،

٦- هربرت ريد : **التربية عن طريق الفن** ، ترجمة عبد العزيز جاويد ، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٠.

7 - Lowenfeld .V.Brittain, W. ***Cerativ and Mental Growth*** W.Y. (6th ed.) MaCmillan, 1975-1982.

٨- حمدي خميس : **طرق تدريس الفنون** ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٥.

9 - Ricci, Corrado, L, ***Arte dei Bambini, Bologna*** : Tr. by Maitland in Pedag, Sem. 1894.

10 - Sully , James : Sames : ***Studies of Childhood*** N.Y: D. Appleton & Co.,1896.

11 - Lugnet , G.H. ***Le Dessin En Fantin*** , Paris : Libeair, Felix Alcan , 1927.

12 - Kellogg , Rhoda , With O'Dell, Scott : ***The Psychology of Children***, S Art , Sam Diego, CRM. Random House Publication , 1967.

١٣- جون ديوي : **الفن خبرة** ، ترجمة زكريا إبراهيم ، القاهرة ، مؤسسة فرانكلين ، ١٩٦٣.

14 - Cizek, Franz. ***Children's Colred Paper Work***, N.Y. G.E. Stechert & Co.1929.

١٥- على المليجي : الدلالات الفنية والنفسية في تعبيرات الأطفال ، دراسة تحليلية للموضوع القومي مدخلاً للتعبير الفني ، جامعة قطر ، **حولية كلية التربية** ، العدد (٩) ، ١٩٩٢.

١٦- انظر في هذا الصدد كلاً من :

- عبد الكريم الخطيب: **القصص القرآني في منطوقه ومفهومه**، القاهرة ، دار الفكر العربي.١٩٧٤.
- محمد أحمد جاد المولى وآخرون : **قصص القرآن** ، القاهرة ، دار التراث ، ط - ١٣ ،١٩٨٤.
- عبد الرحمن النحلاوي : **أصول التربية الإسلامية وأساليبها** ، دمشق ، دار الفكر ط - ١، ١٩٧٩.

١٧- القرآن الكريم ، سورة الفيل ، مكية ، ترتيبها (١٠٥) وآياتها خمس .

١٨- أنظر في هذا الصدد كلا من :

- سيد قطب : **في ظلال القرآن** ، المجلد السادس ، الطبعة العاشرة، القاهرة ، دار الشروق ، ط-١٠ ,١٩٨٢.
- جلال الدين السيوطي : **الدر المنثور في التفسير بالمأثور** ، الجزء السادس ، بيروت ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، (د.ت).
- محمد على الصابوني : **صفوة التفاسير** ، المجلد الثالث ، الطبعة الثالثة ، مطابع الدوحة الحديثة، ١٩٨١.
- أبو الفضل شهاب الدين الألوسي : **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** ، المجلد العاشر ، بيروت ، دار الفكر ، (د.ت) .

١٩- تم التطبيق في كل من المدارس الابتدائية التالية :

- مدرسة الهداية الابتدائية للبنات .
- مدرسة الرميلة الابتدائية للبنات .
- مدرسة غرناطة الابتدائية للبنات .
- مدرسة النجاح الابتدائية للبنات .

٢٠- أنظر كلاً من :

- **كتاب التربية الإسلامية للصف الأول الابتدائي** ، وزارة التربية والتعليم، إدارة المناهج والكتب المدرسية ، الدوحة ، ١٩٩١، ص٢٦- ٢٧ .
- **كتاب التربية الإسلامية للصف الثالث الابتدائي** ، وزارة التربية والتعليم ، إدارة المناهج والكتب الدراسية ، الدوحة ، ١٩٩١، ص ١٧ - ٢٠ .

٢١- طيبه اليحيي: **أصحاب الفيل**، سلسلة قصص الطفل المسلم ، الكويت ، دار الدعوة، ط -٤ ، ١٩٨٩.